٢٠٦

HARLEQUIN®

روايات احلام

زهرة الثلج

جيسيكا ستيل

www.elromancia.com

مرمورية

زهرة الثلج

كان يهمّ أيمي لاوسون كثيراً أن تحافظ على وظيفتها الجديدة، رغم طباع رب عملها الجذاب والمثير للسخط... لذا كذبت كذبة صغيرة... لكن هل كانت تعلم ماذا ستجرّ عليها كذبتها هذه؟

... كان عقابها الأول أن اضطرت للزحف على الثلج كي تصل إليه، فما هو عقابها الأخير؟

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١.٥٠ دينار	مصر: ٥ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-023-0
9789953-15-023-9

روايات أحلام

مجلة قصصية أسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.
كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
A nine - to - five affair
First published in Great Britain 1999
Harlequin Mills & Boon Limited

© Jessica Steele 1999
Translation © Dar El-Farasha- 2001

ISBN 9953 - 15 - 023 - 0

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار ـ سنتر زعرور ـ
ص.ب: ١١/٨٢٥٤ هاتف/ فاكس: ٨٤١٤٠٢ ـ ١ ـ ٩٦١ ـ بيروت ـ لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com مـرومـانـسيا

١ ـ زير النساء

بعد ظهر ذلك اليوم الشتوي، قادت أيمي سيارتها، وفي رأسها تدور الكثير من الأفكار والمشاعر. بعد دقائق ستجري مقابلة عمل مصيرية. كانت تحتاج بيأس إلى تلك الوظيفة، وتأمل بشدة أن تحصل عليها. صحيح أنه عمل مؤقت قد يشغلها تسعة أشهر على الأكثر، إلا أن الأجر جيد جداً، ويقدم لها فرصة تنفس مالي.

لو حصلت على هذه الوظيفة، فستشغل مركز مساعدة السكرتيرة أولاً ثم تتدرج إلى دور المساعدة الشخصية للسيد باردن كوتنغهام حتى تنتهي مساعدته الأصلية من عطلة الأمومة. عليها أن تستعد لمدير متطلب جداً، وأعباء لا حصر لها. إنما لن تنسى في المقابل الأجر المرتفع في نهاية الشهر.. كانت أيمي قد منيت بالعديد من النكسات المهنية خلال السنة الأخيرة، مع أن سجلها العملي ظل دائماً نموذجياً. تلقت تدريباً ممتازاً كسكرتيرة، وبعد ثلاث سنوات من العمل في شركة «اوستر ترايدنغ» اعتقدت أنها ستترقى لتصبح المساعدة الشخصية لأحد المدراء.. لكنها ذهبت إلى العمل في صباح يوم ثلاثاء، لتكتشف بذهول أن المؤسسة أفلست.. توقفت «أوستر ترايدنغ» عن الانتاج وتركت لائحة لا تنتهي من الديون.

لم تكن هذه صدمتها الوحيدة ذلك الشهر.. كانت لا تزال تستعيد وعيها من المصيبة، حين تعرّض زوج أمها لنوبة قلبية وفارق الحياة بين ليلة وضحاها.. يومها.. لم تعن لها مشكلة العمل شيئاً.. بل راحت تفكر في

أليك وايتفورد. لقد أحبته كابنة، لكنه رحل الآن.

ما زالت أيمي تتذكر أباها بوضوح.. كان عالماً مخلصاً في عمله، وقضى نحبه في إحدى التجارب، حين كانت في العاشرة من عمرها.

حينذاك، كانت حياتها مختلفة.. كما تتذكر. ففي تلك الأيام، عاشت عائلتها في منزل أنيق في بيركشاير، ونعمت بحياة هانئة.. وتذكر أيضاً أن أمها هوت جمع التحف.. وأن المنزل كان يعج بالأثاث الجميل.

بعد سنتين من وفاة أبيها، تزوجت أمها من أليك وايتفورد، وكان أليك النقيض المتكامل لوالد أيمي.. يحب الضحك ويفيض بالحيوية.. لكنه لم يكن يحب أن يعمل.

حين ماتت أمها، بعد ثلاث سنوات، في حادث غريب لآلة حديثة، أدركت أيمي أنها وأليك يعانيان من وضع مالي مترد.

كانت يومها في الخامسة عشرة.. وفكرت أن تزاول عملاً بدوام ليلي وفي عطلة نهاية الأسبوع، فسألته:

ـ هل يجب أن أحصل على عمل أليك؟

أجابها: «لن أحلم بهذا حبيبتي.. سنبيع شيئاً».

حين بلغت الثامنة عشرة، وأكملت تدريبها العملي الجاد، لم يعد هناك شيء ليباع.. أحبت زوج أمها، ولم ترده أن يكون مختلفاً.. إلا أنه بدا مسرفاً، يبذر المال بغير تدبير، واكتشفت في ما بعد، أنه أغرم بناشرة كتبه.. لكنها لم تبادله الحب فصار هو يدفع.. وهي تأخذ.

عندما توفيت والدتها، لم تترك لها وصية.. هكذا، آل المنزل إلى زوجها أليك فانتقلت والدته للعيش معها. كانت هانا وايتفورد امرأة رائعة، في الثمانين من عمرها، لكنها حادة كالمسمار ولا تتحمل تطفل الأغبياء.. اعتبرتها أيمي كجدة لها، لكن، وبداعي الاحترام، ظلت تناديها بالسيدة وايتفورد فارتأت المرأة النحيلة، البيضاء الشعر أن تدعى أخيراً بالعمة هانا.

هكذا أصبح لقبها، العمة هانا، وكان لها معاش تقاعدي خاص.. وشيئاً فشيئاً، صارت تقرض ابنها كل مدخراتها. لكن، حين فكر بمعاشها

التقاعدي، صرخت فيه بكل جرأة:

ـ إذا كنت في عوز إلى هذا الحد لمَ لا تبيع المنزل؟

وهكذا فعل.. وانتقلوا جميعاً إلى شقة مستأجرة، لها ثلاث غرف نوم، تقع في منطقة هادئة من ضواحي لندن.. بدأت أيمي تعمل في «اوستر ترادينغ» بوجه عام، خلال السنوات الثلاث التالية، تفانت أيمي في عملها وتخلصت من الأزمة المالية وازداد حبها للعمة هانا.

فجأة، وجدت أيمي نفسها عاطلة عن العمل، ثم صعقها موت أليك.. ومما زاد الطين بلة، أن العمة هانا بدأت تفقد سيطرتها على نفسها. فأجفلت أيمي، وذهب تعقلها أدراج الرياح.

في البداية، اعتقدت أن العمة حزينة لموت ابنها. فقد أحبته كثيراً، ولو أنها كانت تعنفه بقسوة من وقت إلى آخر، وهي الآن فقدته إلى الأبد.. ورجت أن تعود إلى سابق عهدها حين تنتهي فترة الحداد.

في هذه الأثناء، وجدت أيمي عملاً في شركة تأمين.. لحسن الحظ، تمكنت من الاحتفاظ بالوظيفة لستة أسابيع! لكن رب عملها كان زير نساء فاسق. لم يكتف بتوجيه النظرات إليها بل تجرأ على أن يغازلها صراحة! هنا اكتشفت أنها تتمتع بلسان سليط.. فاستخدمت ضده هذا السلاح غير المتوقع.. ووجدت نفسها من دون عمل.

راحت تقنع نفسها بأنها تستحق عملاً أفضل، على أي حال، وسرعان ما وجدت عملاً آخر.. لتخسره بعد عشرة أسابيع.. هذه المرة، طردت بسبب التأخر عن المواعيد.

لم يكن القرار مجحفاً بحقها.. فالعمة هانا كانت مصرة على ملازمة فراشها في الصباح، ويصبح فطورها مشكلة من المشاكل. بالإضافة إلى ذلك، وجدت أيمي أنها لا تحب عملها الجديد فتركته وهي تفضل أن تتأكد من سلامة العمة هانا.

بعد «اوستر ترايدنغ»، كان عملها الثالث قريباً من المنزل، ودام أربعة أشهر. في هذه الأثناء، لم تكن مضطرة إلى مغادرة البيت باكراً.. وبدا كل

شيء على ما يرام إلى أن عاد ابن رئيسها من الخارج، وهو يظن أن سحره لا يقاوم.. فصار يتحرش بها متناسياً زوجته الجميلة وأولاده.

لم تعرف أيمي كيف تتحمل أكثر من هذا. كان عملها مع السيد دينبي ذلك الرمز الأبوي، في «اوستر ترايدنغ»، قد أبعدها عن الفاسقين المنتشرين في كل مكان. أدركت أنها كانت ساذجة جداً، ولا تعرف كيف تتعامل معهم.. حتى جاء يوم أحست أنها على وشك الانفجار. فقد تلقت مكالمة من مركز الشرطة المحلي حيث عثروا على السيدة هانا وايتفورد مشوشة قليلاً.

صرخت وهي تحاول أن تكتم ذعرها: «أنا في طريقي إليكم».

وأمسكت حقيبتها ومفاتيح سيارتها.. لكن كينيث الابن اعترض طريقها متسائلاً: «أين تذهبين؟».

ـ لا أستطيع البقاء!

ـ وعملك؟

صاحت دون وعي: «أتركه لك.. مع كل تمنياتي».

لم تع أنها تركت عملها للتو، لكن قلما يهمها ذلك. وصلت إلى مركز الشرطة في وقت قياسي وسألت الرجل الذي يقف وراء المنضدة الأمامية: «أين السيدة وايتفورد؟».

أجابها: «إنها تتناول الشاي مع إحدى الشرطيات».

أخذ يشرح لها كيف عثرت الشرطة على المرأة المسنة تجول في الشوارع، وهي تنتعل خفين، وفي عينيها ضيق كبير. بدا لهم أنها لا تتذكر أين تعيش..

وصاحت أيمي: «اوه.. يا للحبيبة المسكينة!».

هدأ رجل الشرطة من روعها:

ـ إنها على ما يرام الآن، لحسن الحظ كان معها حقيبتها فوجدنا رقم هاتف مكتبك في علبة نظارتها.

ـ أوه، أحمد الله أنني فكرت أن أسجله هناك!

سجلته هناك لأنها تعرف أن العمة ستبحث أولاً عن نظارتها قبل أن تبحث عن رقم الهاتف. سألها رجل الشرطة بلطف: «هل سبق للسيدة

وايتفورد أن فقدت ذاكرتها منذ زمن بعيد؟».

وشرحت أيمي أن عمتها تعرضت لهذا مؤخراً، منذ أن فقدت ابنها..

وما إن عرف الشرطي أن أيمي تبقى في الخارج طيلة النهار، حتى اقترح عليها برقة أن تفكر بنقل السيدة وايتفورد إلى مأوى للعجزة.

صدمت أيمي وسارعت تقول:

ـ أوه.. هذا لا يمكن! ستكره هذا! هل كانت منزعجة جداً حين عثرتم عليها؟

ـ منزعجة.. مشوشة.. ويائسة.. وعدوانية قليلاً.

تمتمت أيمي بحزن: «يا إلهي!».

رغم سلاطة لسان العجوز، لم تفكر يوماً بوضع والدة أليك في مأوى للعجزة.. إلا أن الشرطي نصحها بألا تصرف النظر عن هذه الفكرة لأن بيت السكن لا يمت إلى السجن بصلة، ولساكنيه حرية التنقل كما يشاؤون..

فجأة، برزت هانا وايتفورد من مكان مجهول، وصاحت باختصار..... على طبيعتها:

ـ كل هذا الضجيج! أسيارتك في الخارج؟

فنسيت أيمي اقتراح الشرطي في لحظة. في اليوم التالي عند الغداء، بدت أيمي مستغرقة في التفكير، حين سألتها العمة هانا بطريقتها المباشرة: «ماذا تفعلين في المنزل؟».

ـ فكرت أن أفتش عن عمل آخر.

ـ بسببي أنا؟

كان تصريحاً لا سؤالاً.. حاولت أيمي أن تخبرها أنها ستترك العمل على أي حال، إلا أن العمة لم تقتنع. رفضت رفضاً قاطعاً أن تصبح عبئاً على حفيدتها بالتبني.. بالرغم من احتجاجات أيمي، أخذت المرأة تسخط وتثور، حتى وافقت أيمي أخيراً أن تبحث في انتقال جدتها إلى مأوى للمسنين، علها تهدأ قليلاً.

في ما بعد، أدركت أيمي أن العمة هانا لن تتوقف عن السؤال.. لا بل

طلبت أن تجول بنفسها على هذه البيوت . حين وصلتا إلى المنزل الأول، «كيسويك هاوس»، لقيتا مفاجأة سارة . . إذ بدا مكاناً واسعاً، خالياً من الهموم، ينشغل كل ساكن باهتماماته الخاصة . كما أنها لقيت تشجيعاً كبيراً من المقيمين . . لكن، كان أمامها عائق واحد . . فالمكان مرتفع الكلفة، والإقامة هنا ستستنفذ دخل السيدة وايتفورد إذا لم نقل أكثر .

ولم تتخلَ العمة هانا عن الفكرة . فبدأتا تبحثان عن مؤسسات أخرى . . لكن المشكلة كانت تكمن في إرضاء العمة . بالرغم من أن بعض الدُور كانت ملائمة، إلا أن العجوز لم تقبل أبداً أن تقيم فيها .

لكن، كيف تتركها أيمي لتواجه الخوف والقلق وحدها في شقتهما؟ ولامت نفسها لهذا . . فلطالما كانت العمة إلى جانبها، حين احتاجت إلى كتف صديق . . أما الآن . . فهي بحاجة للعمل .

في اليوم التالي، أصيبت العمة هانا بنوبة تشوش أخرى . . ثم أفاقت منها بارتباك كبير . . عرفت أيمي أن الواجب يناديها . . كيف كانت العمة هانا لتتصرف لو كانت هي في عملها؟ يجب أن تشعر العمة بالأمان . . اتصلت بليزا براون، مالكة منزل «كيسويك» . لحسن الحظ نسيت العمة هانا الرسوم المطلوبة، وتحرقت شوقاً إلى الانتقال . وبعد أسبوعين، انتقلت أيمي من الشقة العائلية الكبيرة إلى شقة بغرفتي نوم، تقع في منطقة أقل فخامة .

تجاهلت أيمي الدهان المتقشر، والخشب المهترىء للباب الأمامي . . وأخذت تفكر بإيجابية : ماذا تتوقع من منزل قديم؟ على أي حال، سيتناسب الآن مع ما تبقى من قطع الأثاث الأثرية . . حسناً . . سيتناسب أكثر حين تزيل ورق الجدران، وتعيد إصلاح ديكوره . . ثم، يجب ألا تنسى أنها شقة في الطابق الأرضي، ومثالية للعمة هانا حين تريد زيارتها، بما أنها لا تحب السلالم . . والأهم، أن أجرة السكن بلغت نصف الأجرة التي تتقاضاها مالكة الشقة السابقة . . وهكذا، إن تمسكت بعملها الجديد في شركة «سميث وورد» العالمية، ستتمكن من تحمل كل مصاريف العمة هانا في «كيسويك هاوس» .

بعد مرور شهر، بقيت أيمي متفائلة، إلا أن شقتها الجديدة بدت

ممتازة . . فديكورها جديد، وهي تحتوي على سجادة وستائر إضافة إلى أثاث أمها القيّم . كما تعرفت أيمي إلى أدريان باين، الرجل الأعزب الذي يسكن الطابق الأعلى، والمخلص أبداً لحبيبته السابقة تينا . . فاستعادت ثقتها بالرجال .

لكن، لم تثق بهم تماماً على أي حال، فرئيسها الحالي، كليف نوريس، ظهر على حقيقته، كاشفاً عن براثنه، بعدما اتضح أنه من النوع الفاسق الذي اكتفت منه . . لم يشكل برنامج العمل أيَ مشكلة، فهي سريعة البديهة وتتقبل التعليمات بسهولة . . إلا أنها لم تستطع أن تتكهن ما خطب هؤلاء الرجال الذين يسعون لملامستها، ويلمحون ويتمادون أحياناً في التلميح . ألا يمكن أن تتحدد العلاقة مرة بعلاقة رئيس وسكرتيرة؟

أم أنها هي السبب؟ . . لا تعتقد هذا، فهي متأكدة أنها لا تبعث بأي إشارات للإغواء . وتعرف أنها لم تنعم بنصيب من الجمال . . أخبرها أليك مرة أنها جميلة، لكن الأمر لم يتعدَّ نيته الطيبة . ولو تفحصت نفسها في المرآة لوقعت على امرأةٍ نحيلة، بطول خمسة أقدام وثمانية إنشات، وبشرة خالية من الشوائب، وشعر أسود يصل حتى الكتفين . أما العينان فبنيتان، وإذا ابتسمت، كشفت عن أسنان بيضاء مكتملة . . . واستنتجت أن زوج أمها كان مجاملاً لها .

مرّ كل هذا في تفكيرها الآن، حين وصلت إلى شركة الهندسة المتقدمة، واستعدت لإجراء مقابلتها . . لقد وصلت مبكرة . . وجلست في السيارة تفكر في الكوارث التي انهالت عليها مؤخراً .

كانت تحتاج إلى المال الذي تكسبه من «سميث وود»، لكنها لا تحب العمل مع كليف نوريس . . هذا إلى أن العمة هانا لم تستقر في «كيسويك هاوس» بسهولة . كانت تبغض القوانين، وتنسى، إما عمداً أو مصادفة، أن تسجل اسمها ومكانها حين تخرج في الصباح لتتمشى .

ومع أنها كانت تعود قبل أن يقلق عليها أحد، إلا أن أيمي تلقت عدة اتصالات تخبرها أن السيدة وايتفورد اختفت لعدة ساعات، وأن القلق بدأ

www.elromancia.com

يساورهم في المأوى. كانت أيمي قد أعطت العمة هانا مفتاح الشقة الجديدة، وحين اضطرت إلى ترك عملها كالعادة والإسراع إلى الشقة، لم تجدها هناك.. فكرت أن العجوز اتجهت إلى الشقة القديمة، فسارعت إلى هناك، ووجدتها تتحدث إلى أحد الجيران السابقين.

سبق لأيمي أن دعت العمة هانا لتقيم معها في عطلات الأسبوع.. فأصبحت العجوز تعرف المنطقة الجديدة جيداً، إلا أنها كانت، في كل مرة، تختفي من منزل العجزة، وتتوجه إلى الشقة القديمة.

أما اليوم، وبعد شهرين ونصف من الإقامة في «كيسويك هاوس»، فقد بدا أن العمة هانا استقرت أخيراً. حتى يوم أمس.. فقد أقامت العمة معها في نهاية الأسبوع على أن تعود إلى «كيسويك هاوس»، يوم الاثنين صباحاً.. لكن أيمي نسيت أن جدتها لا تستعجل أبداً في بدء نهارها. والنتيجة أن تأخرت أيمي ساعة كاملة عن عملها.

كانت دائماً تعمل إلى وقت متأخر لتعوض عن الوقت الضائع.. لكن، للأسف، استغل كليف نوريس الأمر ليتأخر بدوره في العمل.

قال ملمحاً: «من الممكن أن نقوم بما هو أفضل من العمل».

وتقدم منها، فابتعدت وكادت أن تصطدم بخزانة الملفات قربها.

وتابع: «تعالي لنتناول شراباً».

ردت ببرود وأدب: «لا.. شكراً».

رأت تعابير وجهه تتغير.. لم يعجبه ردها. فقال بتذمر:

ـ أنت مغرورة أكثر من اللازم.. وتتذرعين بأعذار واهية دائماً!

وقفت وهي تشعر بالانزعاج، وتتمنى لو يذهب ويتركها بسلام.. ولذهولها الكامل، لم تدرِ إلا وهو يمسك بها محاولاً أن يضمها بين ذراعيه.

حاول أن يعانقها.. فتوقف عقلها عن التفكير.. واشتعلت أعصابها غضباً.. كانت ردة فعلها فورية وسريعة، فضربته بكل قوتها ودفعته بشراسة بعيداً عنها.. فانتهى به الأمر على الأرض.. وبدا سخيفاً مضحكاً..

خطت من فوقه، لتلتقط معطفها وحقيبتها وصاحت به غاضبة وهي

تخرج: «ليلة سعيدة!».

صرخ يرد عليها: «لا تعودي!»

هدأت بعد ساعة.. في الوقت الذي يجب أن يعاودها الندم على فعلتها، ودت لو تضربه مرةً ثانية. لن تطلب استعادة وظيفتها.. ففكرة العمل لحساب كليف نوريس تصيبها بالاشمئزاز.

تلقت رسالة واحدة في البريد يوم الثلاثاء صباحاً، ففتحتها وكلّها أمل أنهم يطلبون منها العودة عن الاستقالة.. لكن الرسالة كانت من «كيسويك هاوس» وفيها أن السيدة وايتفورد طلبت الانتقال من غرفتها وتسأل المديرة إن كان هذا مقبولاً؟ قدرت أيمي رسوم الغرفة الجديدة.. أوه، يا للسماء.. إنها لا تستطيع تحمّل هذا.. لا تستطيع حقاً.. حسن جداً.. إلا إن وجدت وظيفة بأجر مرتفع. لا شك أن العمة هانا لم تأخذ بعين الاعتبار أن قرارها هذا سيكلفها المزيد من المصاريف.

خرجت أيمي لتشتري صحيفة، وفتشت في صفحة الإعلانات عن وظائف شاغرة. فجأةً، برزت وظيفة واحدة من بين الجميع.. مساعدة سكرتيرة.. ثم العمل مكان المساعدة الشخصية نفسها.. خيّل إليها أن للمدير شخصية مرموقة.. اعتبرت أنها قادرة على مثل هذا العمل، وتعرف هذا.. والأهم أن المرتب المسمى يفوق أكثر خيالاتها جنوناً.. المشكلة الوحيدة أنها ستنوب عن سكرتيرة حامل، لذا فهو مؤقت.. رمت أيمي الصحيفة من يدها.. ثم عادت والتقطتها مجدداً وقد خطرت ببالها فكرة جيدة. خلال السنة المنصرمة، لم تبق في أي وظيفة لأكثر من أربعة أشهر، يبدو أن هذا العمل سيكسر الرقم القياسي.. إضافة إلى هذا، لو استلمت هذا المرتب الخيالي، ستتمكن العمة هانا من الانتقال إلى الغرفة الأكبر، وقد تشعر بالاستقرار.

على أي حال، لم تكن «بروغرس انجنيرنغ» مؤسسة غير معروفة.. فالشركة مشهورة جداً في حقل الهندسة الميكانيكية والالكترونية.. لو أثبتت جدارتها، لوجدت بكل تأكيد عملاً ضمن المؤسسة حين تعود المساعدة

الشخصية من عطلة الأمومة.

لكن، أولاً.. احصلي على العمل! والتقطت أيمي الصحيفة وهي تأمل أن لا يسبقها أحد ويتقدم إلى هذا العمل المؤقت. حين طلبت الرقم، سألها مكتب شؤون الموظفين: «وهل أنت جاهزة على الفور؟».

ردت: «هذا صحيح».

ـ هل تستطيعين المجيء بعد الظهر؟

يا إلهي.. إنهم لا يؤجلون أي شيء!

ردت: «أجل.. بالطبع».

اكتشفت الآن، وهي تجلس أمام السيد غارات أن الوظيفة لا تقتصر فقط على مساعدة السكرتيرة، بل تتضمّن مساعدة السيد باردن كوتنغهام، رئيس كل المجموعة لا غيره! لقد سارعوا إلى طلب أحد المساعدين لأن داون أوبري، وهي في الشهر الخامس من حملها، تواجه بعض التعقيدات التي تؤثر على حملها. مما يعني أن تخرج من المكتب دائماً.. وأحياناً في أوقات غير متوقعة.

ابتسم السيد غارات:

ـ لا بد أنك تقدرين حجم المشكلة، عندما تغادر السكرتيرة مكتباً دائم الانشغال.. كنا قادرين أن نحوّل سكرتيرات من أقسام أخرى، لكن السيد كوتنغهام يفضل أن يعمل مع طاقم عمله الخاص.

ردت أيمي: «هذا مفهوم تماماً، من وجهة نظر الاستمرارية».

ثم حادت عن الحقيقة قليلاً، وراحت تخبره أنها شغلت مراكز مؤقتة خلال السنة المنصرمة، لتكسب الخبرة في العديد من فروع الصناعة. أحست أن مقابلتها تسير على ما يرام. لكن ساورها قليل من الإحباط حين وقف السيد غارات لينهي المقابلة، ثم صافحها قائلاً إنّه ينتظر مرشحتين أخريتين، لكنه سيتصل بها بسرعة.

عادت أيمي من مقابلتها وهي تشعر بالإحباط. لم تكن تعرف أن المساعدة الشخصية سترأس المجموعة كلها.. قد يرغب باردن كوتنغهام في فتاة أكبر سناً.. هي واثقة من هذا.

حين وصلت شقتها، كانت مقتنعة أن لا أمل أن يقبل بها باردن كوتنغهام.. عليها أن تتصل فوراً «بكسويك هاوس» وتتذرع بسببٍ معقولٍ حتى لا تنتقل العمة هانا إلى غرفة أكبر. إلا أنها بطريقة ما، لم تستطع.

قال السيد غارات إنه سيتصل بها بسرعة.. لكن أيمي لم ترَ جدوى من الترقب، أو التلهف إلى بريد الغد، فهي تعرف الرد مسبقاً: «شكراً لك لحضور المقابلة.. لكن..».

بعد بضع ساعات، غرقت أيمي مجدداً في إعلانات التوظيف. فجأة، رن جرس الهاتف. لا يعقل أن تكون العمة هانا المتصلة، فهي تعرف أن أيمي تعمل.. التقطت السماعة، وردت بلطف: «آلو؟».

أملت ألا يكون هذا بلاغاً عن فقدان العمة هانا مجدداً.

ساد صمت قصير.. ثم قال صوت رجل: «أيمي لاوسون؟».

ردت أيمي بحذر: «أنا هي..».

ـ أنا باردن كوتنغهام.

بالكاد تمكنت أيمي من كبت شهقة مفاجئة: «أوه.. مرحباً».

قال مباشرة: «أريد رؤيتك يوم الجمعة بعد الظهر.. هل يناسبك الموعد؟».

ـ أجل.. بالطبع.

أخذت دقات قلبها تتسارع اضطراباً: «أي وقت يناسبك؟».

ردّ: «في الرابعة والنصف».

وأنهى المكالمة. كشف وجه أيمي عن ابتسامة عريضة: ستقابل الرجل الكبير نفسه!

كانت لا تزال تبتسم بعد عشر دقائق.. لقد قال السيد غارات إنه سيتصل بسرعة.. وبشكل غير مباشر، اتصل.. لا بد أنه خط تقريراً لرئيسه ما إن أنهى مقابلاته.. ودون انتظار البريد، اتصل بها باردن كوتنغهام، بعد وقت قصير جداً.

تركها هذا أمام احتمالين: إما أنها تفوقت على المرشحات الأخريات، أو

أن مؤسسة «بروغرس انجنيرنغ» متلهفة لملء الفراغ بسرعة . . أوه . . أسرع يا يوم الجمعة . . فالإثارة لا تحتمل .

كان أدريان باين ، قد طلب منها الخروج معه مساء الخميس . . لكن أيمي رفضت . . كانت تريد أن تبقى يقظة مرتاحة في اليوم التالي . . وتنوي أن تنام باكراً .

كانت تتصل باستمرار بالعمة هانا . لكنها لم تبحث معها مسألة الانتقال إلى غرفة أكبر ، ولا ردت بعد على رسالة ليزا براون . .

مرة أخرى ، وصلت باكراً للمقابلة يوم الجمعة ، وجلست في سيارتها لبضع دقائق حتى تستجمع رباطة جأشها . . كانت ترتدي بزّة صوفية بلون رمادي دخاني ، وقد حرصت على كيّ قميص أبيض ناعم جيداً وانتعلت حذاء بكعب متوسط الارتفاع .

ترجلت من سيارتها ، وهي تعرف أنها تبدو مثال المساعدة الشخصية الكفوءة . . وأحست بالسرور لأنها استطاعت أن تخفي التوتر في داخلها . . فالكثير الكثير يعتمد على هذه المقابلة . . ونتيجتها .

توجهت نحو المرأة الأنيقة وراء منضدة الاستقبال :

- إسمي أيمي لاوسون . لدي موعد مع السيد كوتنغهام في الرابعة والنصف .

دخلت أيمي إلى المصعد ، وهي تحاول أن تصرف عنها التوتر . . تاقت إلى تقديم الانطباع الجيد ، كلها أملٌ أن يكون السيد كوتنغهام مثال الرمز الأبوي كالسيد ديني تماماً . . لكنه لم يبد لها أبوياً عبر الهاتف .

أوه . . إنها تأمل حقاً ألا يكون زير نساء فاسق آخر ! لا يمكن أن يخونها الحظ مرة أخرى . . طردت أيمي هذه الأفكار عنها . . يجب أن تركز فقط على المقابلة ، وعلى العمة هانا ، حتى تنتقل إلى الغرفة الكبيرة التي تفضلها .

حباً بعمتها ، أقسمت أيمي ، أنه لو كان مخدومها المرتقب كازانوفا آخر ، فستشد لجام أطباعها الثائرة . . ولتشكر الله على هذه الوظيفة . . لقد صار الأمان أمنية أكثر أهمية من أي وقت مضى . . يجب أن تعتمد على نفسها ،

فعائلتها الوحيدة هي العمة هانا . . إنها مضطرة أن ترعاها ولهذا يجب أن تفكر بعملها فقط . . وإذا سار كل شيء على ما يرام ، فإن المرتب المرتفع سيكفيها ويكفي العمة ، ويؤمن لهما الأمان المالي .

كانت تقلق من دون سبب . . فكرت بهذا وهي تخطو إلى خارج المصعد . . هذه شركة من نوع مختلف عن تلك التي تركتها يوم الاثنين ، صحيح أنها قد لا تستمر طويلاً . . لكن الجو هنا مهني أكثر .

وجدت أيمي الباب الذي تبحث عنه ، ودقت عليه ثم دخلت . . تطلعت إليها امرأة حامل ، شاحبة الوجه ، جميلة ، في أوائل الثلاثين :

- أيمي لاوسون؟

- هل وصلت مبكرة؟

ردت داون أوبري بابتسامة :

- أبداً ، لقد اتصل مكتب الاستقبال ليقول إنك في طريقك إلينا . . وسيراك السيد كوتنغهام الآن .

نظرت أيمي بسرعة إلى ساعة المكتب . ما زالت هناك بضع دقائق قبل الرابعة والنصف ، كما توقعت تماماً . سارت خلف المساعدة الشخصية ، حتى وصلتا إلى باب مكتب آخر .

أعلنت المرأة : «الآنسة لاوسون» .

دخلت أيمي إلى الغرفة ، بينما تراجعت داون أوبري إلى مكتبها .

دعاها باردن كوتنغهام : «ادخلي . . واجلسي» .

ثم ترك مقعده ليصافحها .

عشرة على عشرة للأخلاق الحميدة . . هذا ما سجلته أولاً في عقلها . . لاحقاً ، لاحظت أن باردن كوتنغهام لم يكن مسناً أو أبوياً . . كان في أواسط الثلاثين . . طويل ، شعره يميل إلى الشقرة وعيناه رماديتان جادتان . . لكن ، ما لا يحسب لصالحه ، أنه جميل المظهر . . من خلال تجربتها ، تعلمت أن أمثاله يظنون أنهم نعمة أغدقتها السماء على النساء . . بدا باردن كوتنغهام أجمل منهم بكثير .

جلست أيمي في مقعد على أحد جانبي المنضدة، بينما عاد هو إلى مقعده على الجانب الآخر. كانت منضدته نظيفة فاستنتجت أن عطلته الأسبوعية ستبدأ ما إن تنتهي هذه المقابلة. . فهل هي آخر المرشحات؟

نظرت إليه، فوجدته يتفحصها. واجهت نظرته بعينين بنيتين واسعتين ثابتتين، وهي تتمنى لو تتمكن من قراءة أفكاره.

قال: «أنت صغيرة السن».

وهل هذا اتهام؟ لا شك أنه تفحص الطلب الذي كتبته، ويعرف أنها في الثانية والعشرين.

ردت: «أنا كفوءة في عملي».

ليس هذا بوقت التواضع.

نظر إليها بمكر: «لقد تدربت في. . »

وسارت المقابلة في طريقها المعتاد. فسألها عن عملها، خبرتها، ونظرتها إلى الثقة والائتمان، بوضوح وإتقان. ثم تابع: «ماذا عن مهاراتك الدبلوماسية؟».

كانت أيمي تعرف أن اللباقة ضرورية. . ولم يكن هذا وقتاً مناسباً لتذكر له أنها، في مطلع الأسبوع، ضربت رئيسها الأسبق وتركته مرمياً على الأرض.

نظرت في عينيه: «جيدة جداً».

حسناً. إنها هكذا عادة. . . فليحاول أي إنسان أن يتحرش بها كما فعل كليف نوريس، ولسوف يستحق ما يحصل عليه. سألها باردن كوتنغهام سؤالين آخرين، يتعلقان بثقافتها العملية العامة. وأحست أنها أجابت بكفاءة أكبر مما توقعت.

ـ حين كنت أعمل في شركة أوستر ترايدنغ، كانت مهارتي في الاتصالات. . .

وراحت تتوسع في إجاباتها بينما هو يصغي. . لكنه قاطعها:

ـ آه. . أجل. . أوستر ترايدنغ. لقد أفلست الشركة منذ سنة.

قالها بلهجة توحي وكأن الذنب ذنبها!

كتمت أيمي ثورة غضب صغيرة. . اهدئي. . اهدئي. . أنت بحاجة إلى هذه الوظيفة. . وربما يحاول اختبارك ليعرف ردة فعلك.

ردت: «لسوء الحظ، هذا صحيح».

ومنحته ابتسامة كاملة، وصفت يوماً بالساحرة.

لكنه لم يتأثر. . بل نظر إليها وحدقتاه تنتقلان من عينيها إلى فمها، ثم تعودان إلى عينيها. صمت للحظة قبل أن يتابع مشيراً إلى سجلها العملي في السنة المنصرمة. وكانت تأمل ألا يفعل. . لكن، وإلى أن تعرف أي نوع من زير النساء هو، فهي لا تعتقد أنها فكرة جيدة إذا أخبرته عن السبب الحقيقي لاستقالتها.

ومن دون تردد، سلكت طريقاً غير صحيح:

ـ كما ذكرت للسيد غارات. . بعد أن عملت للمؤسسة ذاتها لثلاث سنوات، أحسست بضرورة توسيع خبرتي العملية.

صحيح أن شركة أوستر ترايدنغ لم تعد موجودة، لكن لو كتب ليسأل الشركات الأخرى. . فقد قضي أمرها!

ـ ولهذا السبب تقدمت إلى هذه الوظيفة؟

ـ أنا متحمسة جداً للعمل كمساعدة شخصية.

سألها دون مقدمات: «هل تعيشين مع والديك؟»

وأحست للحظات قصيرة أنها تكاد تختنق. فأخفضت نظرها بسرعة إلى حجرها، وابتلعت ريقها، ثم ردت: «والداي ميتان».

لانت تعابير وجهه قليلاً، وقال بلطف: «هذا أمر صعب».

لكن، قبل أن تنقفي لحظة أخرى، عاد إلى طبيعته:

ـ أنا واثق أن السيد غارات ذكر لك أن السيدة أوبري، مساعدتي الشخصية، تواجه متاعب في حملها. . لكنها عادة، ترافقني حين أزور فروع عملنا في أرجاء المناطق، ولا تمانع في السفر عبر البلاد. . سينتقل هذا الدور الآن إلى مساعدتها، فهل تواجهين مشكلة في هذا؟

www.elromansia.com

هزت أيمي رأسها، وردت دون تردد: «أبداً. . ».

أملت أن تصبح نوبات النسيان التي تصيب العمة هانا، من الماضي. . لا سيّما أنها كانت في أحسن حال مؤخراً.

أكمل باردن كوتنغهام: «يحدث أن أتأخر في العودة إلى لندن. . أليس لديك ارتباطات؟».

ترددت أيمي. . لا شك أنه يعني إن كانت تعيش مع أحد. . لو أرادت أن تكشف له عن مشكلة العمة هانا، فهذا هو الوقت المناسب.

لكنها ردت مرة أخرى: «أبداً».

ونظرت إليه مباشرة. . حسن جداً. . مصيرها على المحك. . ستذهب هذه الوظيفة أدراج الرياح، لو عرف بسجلها في التأخير عن العمل، وساعات العمل الغريبة التي كانت مضطرة لها.

ـ وهل لديك مشكلة في العمل لساعات إضافية؟

وتهلل قلبها. . أعطتها سرعة الوتيرة في هذه المقابلة الثقة.

ـ لم يكن العمل لوقت متأخر مشكلة بالنسبة لي يوماً.

ها قد عادت مسرورة إلى طريق الصدق.

ما إن أنهت كلامها حتى وجه إليها سؤالاً جديداً: «وهل كنت مضطرة للعمل المتأخر في وظائفك المؤقتة؟»:

إذاً، فهو حاد الملاحظة!.

ـ لم أحب يوماً أن أعود إلى البيت قبل أن أنهي كل شيء.

أوه. . يا إلهي، يبدو هذا غروراً فاضحاً، وثقة بالغة بالنفس! لكنها تفضل هذا على أن تخبره أنها لطالما اعتبرت وظيفتها عملاً دائماً.

طرح باردن كوتنغهام بضع أسئلة أخرى، وما إن وصل إلى السؤال الأخير، حتى حلقت آمالها في السماء: «متى تبدئين؟».

ـ في الحال.

ـ أوليس لديك عمل يوم الاثنين؟

أخذت نفساً عميقاً، ثم اندفعت تقول بصدق تام:

ـ حسن جداً، سأكون صريحة. كنت آمل أن تنجح هذه المقابلة، كي لا أضطر إلى التقدم لوظيفة أخرى.

بعد لحظات طويلة، تمنت فيها أيمي أن تقرأ أفكاره، تراجع إلى الوراء وهو ينظر إليها:

ـ أتريدين الوظيفة؟

لا يعرف كم تريدها. . وابتلعت كلمة «بيأس» لتبدلها بكلمة «كثيراً».

طافت عيناه في وجهها لبرهة أخرى. . ثم ابتسم ببطء. . وكانت أروع ابتسامة شاهدتها يوماً. وقف إيذاناً بانتهاء المقابلة، ثم قال:

ـ إذن. . وبما أنك ستعملين معنا لفترة، من الأفضل أن تتحدثي إلى داون.

ـ وهل حصلت على الوظيفة؟

قال وهو يصافحها: «تهاني».

* * *

www.elromansia.com

٢ ـ ساحرٌ ونذل

أوشك شهر شباط على النهاية. . كان الطقس مكفهراً طيلة الأسبوع الماضي، وبدا أن السماء ستمطر من دون توقف. . أما اليوم، فقد ازداد البرد وهدد الثلج بالسقوط. لم تنل أيمي قسطاً كافياً من النوم، فنهضت من السرير، صباح يوم الأربعاء، وهي تشعر بالاكتئاب. . أوه. . هيا. . لتكن أفكارك مبتهجة. . منذ شهر كادت تطير فرحاً لأنها حصلت على وظيفة المساعدة. وعما قريب، ستنوب عن المساعدة الشخصية للسيد باردن كوتنغهام. . فما الذي تغير؟

جالت أيمي في شقتها، تحاول أن تعرف سبب إحساسها هذا. . حسناً إنها راضية عن وضعها الحالي، لكنها بالتأكيد قلقة بسبب شيء ما.

لكن هذا أمر غريب. . فهي لم تعد قلقة على جدتها. . فالعمة هانا مرتاحة الآن في الغرفة الكبيرة التي أرادتها، ومستقرة فيها تمام الاستقرار. . في الواقع، بدت قانعة راضية. أدركت أيمي كم كانت على حق حين أقدمت على هذه الخطوة في «كيسويك هاوس»، فقد عادت إلى العمة ثقتها بنفسها، ونعمت رويداً رويداً بالأمان والاستقلالية.

إذن، هي لا تشعر بالتوتر بسبب العمة هانا. . هكذا قررت أيمي، وانقلبت أفكارها إلى عملها. تذكرت كيف عيّنها باردن كوتنغهام في الوظيفة من دون أن يطلب إفادات العمل. . واضح أنه رجل يثق بحكمه الخاص.

كانت تعمل في المكتب الرئيسي لمكاتب «برغرس انجنيرنغ» منذ أربعة

أسابيع ويومين. ولقد أحبت العمل. . في الواقع، انسجمت معه كما تنسجم السمكة في الماء. . كانت أحياناً تعمل تحت الضغط، لكنها ظلت تستوعب كل شيء، وتعمل جاهدة كي تتجنب شكاوى مخدومها.

اتفقت جيداً مع داون، وسرها أن تساعدها قدر المستطاع. . بدت لها داون لطيفة، تعاني من حمل متعب. بالأمس خرجت من الحمام، وهي تطلق تنهيدة طويلة:

ـ ظننت أن غثيان الصباح يصيب النساء في بداية شهور الحمل وليس الآن.

حثتها أيمي: «لم لا تذهبين إلى منزلك؟ أستطيع معالجة كل الأعمال هنا».

قالت داون بشجاعة:

ـ سأصمد. . فأنا سأتغيب بعد ظهر الغد لفحص الجنين، كما تعرفين. . شكراً على أي حال أيمي.

سألتها داون في أول يوم عملت فيه عن اسمها. هل يدعوها الناس أيمي أم أنها تُعرف باسم آخر. . فأجابتها أنها تدعى أيمي منذ صغرها. وهكذا، أصبح جميع العاملين في الشركة يدعونها بأيمي.

هنا، أفاقت أيمي من أفكارها، وحارت في سبب تململها الشديد. . إنها لا تقلق على العمة هانا. كما إنها تحب عملها، وتحب داون، وكل شيء آخر يسير على ما يرام. . إذن لماذا تشعر. . .؟

اضطربت أفكارها فجأة. . الجميع في «بروغرس انجنيرنغ» يناديها أيمي. . ما عداه. . لقد أعجبت به كثيراً منذ ساعات العمل الأولى، لكن هذا كان قبل أن تتلقى المكالمة الأولى: «هل لي أن أكلم باردن أرجوك. . أنا باولا».

همست لداون: «هل أحوّل له اتصال باولا؟».

وتبع هذا في الأسابيع التالية: إنغريد، سارة، ومجموعة من النساء. . ومما أثار عجب أيمي، أنه ينجز أعمالاً كاملة. . وهذه هي المفارقة المريرة. فهي لا تجد فيه نقيصة واحدة. . من جهة، تراه يأخذ وقتاً كافياً في الرد على

المكالمات، ومن جهة أخرى، كان ينجز أعمالاً مذهلة.

سألت أيمي داون: «ليس متزوجاً إذن؟».

وكانت تعلم أنها ستكرهه كره الشيطان لو كان متزوجاً.. هزت داون رأسها:

ـ ولماذا يلزم نفسه بقالب حلوى واحد وهو قادر على واجهة كاملة من الحلوى؟

ابتسمت أيمي.. لكنها كانت قد اكتفت من الفاسقين أمثاله.. وأبقت مشاعرها لنفسها. وفي إحدى المرات، وبينما هي في مكتبه، اتصلت به امرأة لم تتعرف على اسمها من قبل.

صاح بسعادة: «كلوديا!».

وبقدر ما بدا لها اسم كلوديا فاتناً منه، إلا أنها لم ترغب في الاستماع إلى بقية المكالمة.. لكنه أبقاها منتظرة فيما يتبادل الحديث مع حبه الجديد.

قالت أيمي بصوت هش بعد أن أنهى مكالمته: «لو توقّع لي هذه الأوراق».

تجاهلت ارتفاع حاجبه، وتلك النظرة الغريبة وكأنه يقول: من تظنين نفسك؟ وسأل بسخرية: «أمن شيء آخر؟».

ودت أيمي لو تذيقه شيئاً مما أعطته لكليف نوريس، لكنها ردت بأدب: «لا.. شكراً لك..».

وعادت إلى مكتبها.. يا للرجال!

صحيح أنه لم يحاول أن يلعب دور زير النساء معها، لكن فليتجرأ على المحاولة! ولو أنها لا تريد هذا، لا سمح الله! لكن ما يثير غيظها أنه ما زال يناديها أيملي، مع أنه يعرف بالتأكيد أن الكل ينادونها باسم أيمي.

أدركت أنها تغضب للا شيء، فاستعدت لتواجه يومها، وقادت سيارتها إلى العمل.. مضى الصباح بسلام، وذهبت داون إلى الغداء، ومن ثم إلى موعدها في المستشفى.

ظل باردن كوتنغهام غائباً عن المكتب للساعة الأولى من بعد الظهر.

فتمتعت أيمي بالتحدي، وسرها أن تبقى المسؤولة الوحيدة عن المكتب، لكن متعتها خبت قليلاً، حين تلقت مكالمة هاتفية حوالى الثانية والنصف:

ـ مكتب السيد كوتنغهام.

أعلنت المتكلمة عن نفسها: «روبرتا شورت.. أنت أيمي.. أليس كذلك؟».

حتى صديقات كوتنغهام يعرفون أنها أيمي! كانت معجبة بروبرتا شورت، المرأة الجميلة، في أوائل الثلاثين، التي قابلتها وزوجها حين زارا مخدومها في أحد الأيام. فأجابتها والبسمة تتجلى في صوتها:

ـ أجل. أخشى ألا يكون السيد كوتنغهام هنا.

ـ أوه! كنت آمل أن أجده.

قالت أيمي: «هل أطلب منه أن يتصل بك؟».

وجمد الدم في عروقها، حين صرخت روبرتا بذعر:

ـ يا إلهي.. لا! لا يجب أن يعرف نيڤيل أنني أتصل ببياردن.. قد يشك.. أوه.. النجدة.. ها هو نيڤيل قادم.. ولا يجب أن يعرف..

وأقفلت الخط.

بمزيج من الصدمة والتمهل، أعادت أيمي السماعة إلى مكانها.. لا.. لقد أساءت الفهم.. نيڤيل شورت صديق باردن كوتنغهام الحميم، بحق السماء! صحيح أن باردن كوتنغهام زير نساء من الدرجة الأولى، إلا أن هذا لا يعني أن المتزوجات يتأثرن بسحره. أحست أيمي بالاضطراب يسري في داخلها.. ولِمَ لا؟ فهو فاتن بشكل مثير، وما من امرأة آمنة منه.. ما عداها.. لكنها واثقة أن هذا لا يزعجها أبداً!

لكن.. زوجة صديقه؟ لا..! شغلت أيمي نفسها بالعمل. لكن، كلمات روبرتا عادت لترن في رأسها مرات ومرات «قد يشك» و«نيڤيل قادم.. لا يجب أن يعرف..» قبل أن تقفل الخط.

تجاهلي هذا.. لا شأن لك بعلاقته مع زوجة صديقه.. هذا إلى أنه يواعدها، إلى جانب علاقته بكلوديا.. يا له من رجل متوحش! يجب أن يزج

الرجال أمثاله في السجون!

سمعت صرير الباب الداخلي في المكتب الآخر . فعرفت أنه عاد . . مع من تناول الغداء؟ باولا؟ كلوديا؟

رفعت رأسها، فسألها : «هل من رسالة؟» .

ردت : «اتصلت السيدة نيفيل شورت ولم تترك رسالة» .

ـ أتوقع أن تتصل مرة أخرى .

يا للسماء! ألهذه الدرجة هو واثق من نفسه؟ لكن، لا شك أن الوحش يعرف أن نيفيل شورت في المنزل الآن، ولن يتصل بروبرتا في حضور زوجها . . ركزت أيمي على عملها . . ثم وجهت لمخدومها سؤالاً عملياً، قبل أن يعود إلى مكتبه ويقفل بابه، وتابعت هي عملها بدورها .

حوالى الثالثة والنصف، سمعته يقول لها عبر الهاتف الداخلي : «ادخلي أيمي . . أرجوك» .

دون كلمة، التقطت دفترها والقلم، ثم دخلت إلى مكتبه . . استمرت طيلة نصف ساعة، تسجل الرسائل والتعليمات . كانت لا تزال تكتب، حين رن جرس الهاتف .

أشار إليها بالبقاء ثم مد يده إلى الجهاز على منضدته وضغط الزر المناسب .

ـ كوتنغهام يتكلم .

افترّ ثغره عن ابتسامة صغيرة، بعد أن أعلن المتكلم عن نفسه : «روبرتا! أيتها الثعلبة الماكرة!» .

ماكرة دون ريب . . لأنها تخدع زوجها بكل نجاح! حاولت أيمي أن تخرج، إلا أنه أشار إليها مجدداً أن تبقى . . واضح أنه لا يهتم أبداً إن سمعت أيمي مكالماته الغرامية أم لم تسمع . . لماذا لا يباشر بعلاقاته الخبيثة خارج دوام العمل؟

لم تسمع ردود روبرتا . . لكن كلامه لم يترك لديها أدنى شك أن استنتاجها كان صحيحاً .

قال كوتنغهام مداعباً : «أنت تقلقين كثيراً . . ! أؤكد لك أنه لن يطلقكِ» .

يا للسماء . . وماذا عن هذه الثقة بالنفس؟ حتى ولو اكتشف نيفيل شورت أمر العلاقة، فالمسكين يحب زوجته كثيراً، ولن يطلقها . . وباردن كوتنغهام يستغل نقطة الضعف هذه تماماً! يجب أن يسجن! لا بل يجب أن يقتل . . والأفضل أن يقتل بطريقة مؤلمة! كانت المكالمة توشك على الانتهاء حين قال باردن واعداً : «سوف أتمكن من اختلاس بضع دقائق معك، غداً في المسرح . . لن يكون هذا صعباً» .

تلا ذلك صمت قصير ردت فيه روبرتا . . قطبت أيمي جبينها . . عرفت جيداً أن لا دخل لها في كل هذا . . لكن، يا للخزي! فهو لا يكتفي بالتلاعب من وراء ظهر نيفيل . بل سيلتقي بها غداً في المسرح . . تحت أنف زوجها . . صديقه . أوه . . هذا كثير!

رد باردن :

ـ لا تقلقي لشيء . . أعدك . . لا يملك نيفيل أدنى فكرة عما تفعلينه . . توقفي عن القلق . سأراك غداً . سيكون كل شيء على ما يرام .

ازدادت أيمي غضباً . . واضح أن روبرتا شورت خائفة من أن يكتشف زوجها المسكين ما يجري . بينما باردن كوتنغهام ليس غريباً على مواقف كهذه، ويملك خبرة في أسلوب تهدئة النساء .

ـ وماذا فعلت الآن؟

بدت لهجته حادة . . فرفعت أيمي رأسها . . كان قد أنهى المكالمة منذ لحظات، عرفت هذا من رنة صوته، فقد تغيرت لهجته تماماً حين فرغ من الحديث مع سيدة حبه .

جاهدت أيمي لتحافظ على أعصابها وسألته : «فعلت؟» .

ـ أكاد أملّ من عجرفتك؟

عجرفة؟ هي؟ أحست أيمي أنها تحارب غضبها في معركة خاسرة، صحيحٌ أنها يائسة للاحتفاظ بوظيفتها . . لكنها فهمت من كلماته أنه

www.elromancia.com

سيصرفها على أي حال. نظر إليها نظرة مباشرة من عينيه الباردتين الرماديتين: «أخبريني ماذا فعلت هذه المرة».

بما أنها متمسكة بهذا العمل، أحست بضرورة القول: «هذا ليس من شأني».

ـ ماذا، ليس من شأنك؟

كما توقعت تماماً. أراد أن يعرف المزيد.

ـ حين اتصلت السيدة شورت قبل الآن، كانت متلهفة جداً ألا يعرف زوجها باتصالها.

ـ وماذا في هذا؟

ـ أضف هذا إلى الحديث الذي سمعته لتوي. ويصبح الأمر واضحاً!

ـ ما هو الواضح؟

أرادت أن تضربه. يريد منها أن تفسر الأمر بصراحة. حسن جداً. ستكون ملعونة لو فعلت.

ـ إذا كنت لا تعرف، فليس من واجبي أن أخبرك!

وأحست بغضبها يتلاشى. اهدئي. اهدئي. لا يمكن أن تطيح بك نوبة غضب.

ـ أتظنين..

وصمت. وكأنه يربط بين لهفة السيدة شورت والحديث الذي تبادله لتوه معها. فجأة عرف الرد.

ـ كيف تفسّر..؟

لقد غضب. وعرفت هذا. بات الغضب يسيطر على جو الغرفة.

ـ أيتها الآنسة الصغيرة المتزمتة، أتعتقدين أن لي علاقة مع...

صاحت تقاطعه: «لا شأن لي في هذا!».

إزاء كلمات مثل «الآنسة المتزمتة»، لم تستطع أيمي أن تكبت غضبها أكثر من ذلك.

صاح بها وهو يقف، فوقفت بدورها:

ـ أنت محقة تماماً! ما أفعله في حياتي، وتدبر شؤوني أمورٌ لا دخل لك فيها إطلاقاً! هل هذا مفهوم؟

من يظن نفسه؟ وإلى من يعتقد أنه يوجه هذا الكلام؟ أهي مجرد سكرتيرة تطبع على الآلة الكاتبة، يدفع لها كي لا تنطق بشيء؟

صرخت، وعيناها البنيتان تقدحان شرراً: «أنت الذي أصريت على هذا الحديث!».

رفضت أن تتراجع، ولو أنها عرفت أنه سيرمي بها إلى الخارج الآن. مع ذلك، انتظرت أن يرمي بجمرات غضبه على رأسها. فجأة، نظر إلى عينيها البنيتين العاصفتين، وكأنه يكبح نفسه، ويقرر بأية طريقة يتصرف.. هنا، تحولت لهجته من الغضب إلى السخرية الواضحة:

ـ أتظنين أنك كنت منصفة. أيمي الصغيرة؟

طرفت بعينيها: «منصفة؟».

قال متشدقاً:

ـ أنا لم أحاسبك على علاقاتك. لأنك، كما أعتقد لم ترتبطي بعلاقة مع أحد. أليس كذلك؟

هذا صحيح. لكن كبرياءها الجريح كانت على المحك، فتلعثمت: «لقد كان..».

أرادت أن تكذب. لكنها ارتجفت وتلعثمت مجدداً. بدا لها أنها تسببت بمثل هذا النقاش. لكن، هل هي حقاً متحمّسة لتناقش حياتها الغرامية، أو لتثبت أنه لم يكن لها حياة غرامية. لا سيما مع مخدومها؟ وتراجعت لتقول بتكبر:

ـ عدد العلاقات التي كانت لي، أو لم تكن أمرٌ لا يهمك إطلاقاً.

ـ هذا مثالي! مع ذلك، تعتقدين أنك تملكين الحق بالحكم على نشاطاتي خارج العمل. لكن ما إن أسأل عن نشاطاتك، حتى يصبح الأمر خارج نطاق شؤوني؟

هذا اسم جديد يطلقه على ما يفعله! نشاطات خارج العمل! لقد

اكتفت . . أمسكت دفتر ملاحظاتها وقالت متحدية: «هل تريد أن أنجز هذا العمل اليوم أم لا؟».

أنبأها لمعان عينيه أنه لا ينظر بعين العطف إلى تصرفها هذا.

شعرت، بغرابة، أنها كانت تتأرجح بين الاعتذار والتحدي . . توقعت أن يهاجمها بعنف. . لكنه تمعن فيها للحظة . . عرفت من بشرتها المحترقة أن الاحمرار لا شك وصل إلى خديها . . على أي حال، بدأت تندم على نوبة الغضب، وأخذت تقسم ألاّ تغضب مرة أخرى . . حين تحولت النظرة اللامعة في عينيه الجادتين إلى سخرية، قال لها:

ـ وها أنا ذا . . عرفت أنك فأرة.

هذا يكفي! فأرة؟ وأعتذر؟ ستراه مشنوقاً قبل أن تعتذر! فأرة! هل تقف متفرجة فيما هو يطيح باحترامها لنفسها؟ قالت وهي تهمس بغضب:

ـ أفضل أن أكون فأرة على أن أكون جرذاً قذراً!

واستدارت لتخرج من مكتبه. خرجت كالعاصفة من الباب الموصل إلى مكتبها . . دون أن تهتم بإغلاقه. . لن تتوقف . . اتجهت فوراً إلى معطفها وحقيبتها. عندما ارتدت المعطف ندمت لأنها فقدت أعصابها . . ما الذي دهاها بحق السماء؟ إنها لا تستطيع أن تتحمل نوبة الغضب!

مدت أيمي يدها إلى درج مكتبها لتستعيد حقيبة يدها. حتى ولو لم تكن راغبة في الرحيل، فلا مفر من ذلك الآن. لا يمكن أن يستبقيها، وقد دعته لتوها بالجرذ القذر.

ثم استقامت، وحقيبتها في يدها، حين سألها بصوت بارد:

ـ أين تظنين نفسك ذاهبة؟

نظرت إلى باب مكتبه، ورأته يستند من دون اكتراث على الباب. فترددت، وأخذ التعقل العملي السليم يطغى على كبريائها . . أوه . . إنها تحب هذا العمل كثيراً، ولا تريد أن تتركه . . كتمت أنفاسها . . لقد دست أنفها في حياته الخاصة، وأطلقت الأحكام على أخلاقه، فكيف يأمرها بعدم الذهاب؟

تمكنت أخيراً من السؤال: «أولست . . مصروفة من العمل؟».

ابتعد عن الباب، وهو يقول متشدقاً: «سأعلمك بموعد طردك . . أما الليلة، فستعملين لوقت متأخر».

وعاد إلى مكتبه، وهو واثق أنها ستنفذ أوامره بدقة. ولم ينتظر ليرى هل خلعت معطفها أم لا، بل أقفل الباب وراءه.

ألقت أيمي حقيبتها من يدها ببطء، والارتياح يسري في عروقها. فهي لا تزال تحتفظ بهذا العمل الممتع المرتفع الأجر. . لكنها تمنت، مدفوعة بكبريائها لو كانت في موقف أكثر قوة، حتى تتخلص من هذه الورطة.

وانطلقت حرب باردة في ما تبقى من اليوم، ولم يكن العمل الإضافي مشكلةً في نظر أيمي ذلك المساء. وصلت إلى شقتها حوالى الثامنة، وهي تشعر بالذهول لأنها تعرّض أمنها وأمن العمة هانا للخطر!

نهضت أيمي في اليوم التالي وهي لا تزال تتساءل ما الذي دهاها . . كانت تعي أنها تثور غضباً منذ مات زوج أمها أليك . . يومها، تلقت صدمة قاسية، كما أنها تركت شركة «أوستر ترايدنغ» في الوقت ذاته تقريباً. هذا إلى القلق الذي ينتابها في كل مرة ينهار فيها مستقبلها المهني . . فهل اعتادت أن تتجه إلى الباب كلما ساءت الأمور؟

فكرت بهذا وهي تقود سيارتها إلى مكاتب «برغرس انجنيرنغ . .» وتذكرت حين حاول كليف نورس أن يقبلها . . وكيف حشرها بين خزانة الملفات والجدار . . هل من المفترض أن تتحمل دائماً هذه الأمور السخيفة؟ لا . . بالتأكيد لا!

إذن، لماذا غضبت من كوتنغهام؟ كانت غاضبة إلى درجة تأزمت فيها مشاعرها، حتى كادت تنسى وضعها المالي، وتخرج من هناك . . ظنت أنها ستطرد في أية لحظة . . وظنت أنها دمرت فعلاً كل شيء حين دعته بالجرذ!

لكنه هكذا . . فهل هذا من شأنها؟ لم يعجبها أن يقول إنها فأرة . . ولا أعجبها حين أشار إلى انعدام حياتها الغرامية . . لكن، عليها أن تواجه هذا، هي موظفة عند باردن كوتنغهام لتعمل، ولتعمل فقط . . وهي التي أدخلت العامل الشخصي إلى عملها . . كان يمكن أن تتجنب هذه المسألة المؤسفة، مع

أنه سأل بحدة: «ماذا فعلت الآن؟»

أكان بإمكانها فعلاً أن تتجنب ما حصل؟ لقد أجفلها بصوته الحاد، وقضى على أية فرصة لبراعتها الدبلوماسية، التي أكدت أنها تمتلكها. ولم يكن هذا كافياً، بل أصر على معرفة سبب «تعجرفها» عليه.

ذهبت أيمي إلى مكتبها، وقد أدركت أنها مخطئة، لا شأن لها في كلّ ما يحصل في المكتب ولا يمت إلى العمل بصلة.

سألت داون بعد التحيات العادية: «هل كل شيء على ما يرام؟».

ابتسمت أيمي: «كما يجب أن يكون دائماً».

- كيف تشعرين اليوم؟

- دقي على الخشب. حتى الآن، وبالمقارنة مع يوم الثلاثاء، أنا في أحسن حال.

باشرت أيمي بالعمل. لكن الشجار الذي حصل مع باردن كوتنغهام بعد ظهر الأمس عاد مرات ومرات ليلاحقها. حين استدعاها إلى مكتبه بعد ساعتين، عرفت أنها لن تنسى، أو تشعر بتحسن. حتى تعتذر.

لكنه بدا لها بارداً متباعداً: «يجب أن أذهب إلى ستراتفورد، على بعد مئة وعشرة أميال، احملي دفتر ملاحظات جديد فقط. ستسجلين ما يجري بدقة. قد يكون اجتماعاً هاماً ومطولاً».

عادت أيمي إلى مكتبها، وسرت أنها ترتدي البذلة الدخانية الأنيقة التي ارتدتها يوم المقابلة. عرفت أن مظهرها جيد، وأحست بالفخر لأنه اختارها للذهاب مع رأس المجموعة إلى ذلك الاجتماع المهم.

وصلا إلى ستراتفورد في وقت مناسب. استقبلهما المدير العام، جاك بريانت. بدا رجلاً في أوائل الثلاثين، لطيفاً مع أيمي، ولو أنه كان رسمياً جداً مع رئيسها.

بينما كان باردن يتحدث مع مدير الانتاج، تقدم منها ببطء:

- لا أصدق أن اسمك أيملي.

- وهل تصدق اسم أيمي؟

ابتسم. حين بدأت أيمي تشعر بالجوع قال لها:

- يقدم الغداء في غرفة طعام المدراء، وأرجو ألا تمانعي أن أتناول الغداء معك أيمي.

فاستدار باردن كوتنغهام إليهما. نظر إليها بغضب. وكأنه يأخذ عليها تضييعها وقتاً ثميناً مع المدير العام، الذي أصبح يناديها أيمي. هذا الاسم الذي يستخدمه الجميع ما عداه. ثم نظر إلى المدير العام بشيء من السخرية:

- جيد أنكم أخرتم الغداء.

لم يتأخروا كثيراً في وجبة الطعام. في ما بعد، أتيحت لها خمس دقائق لتغسل يديها. ثم اتجه الجميع إلى قاعة الاجتماعات، ومرّ بعد الظهر بسرعة البرق. كانت أيمي تعرف أنها بارعة في عملها، لكن، في هذا الاجتماع بالذات كانت تختبر مهارتها حتى آخر نقطة. حين انتهى الاجتماع أحست وكأنها قامت بجهد أسبوع.

تقدم جاك بريانت منها بينما كان باردن يصافح عضوين من مجلس الإدارة، وقال:

- أنا أذهب إلى لندن دائماً. ألن تهتمي بإعطائي رقم هاتفك؟

ظهر باردن فجأة: «هل تم طلاقك جاك؟»

رد: «عمّا قريب».

ابتسم باردن: «تحدث مع مساعدتي حين تطلق تماماً. إنها لا تشجع المتزوجين».

لماذا تحس برغبة في ضربه؟ من ناحية، سرها أنه أسماها مساعدته.. لكن، من ناحية أخرى، بدا وكأنه يعتبرها فعلاً «آنسة متزمّتة» كما دعاها بالأمس. وهذا لا يزال يلسعها!

كانت الساعة السابعة والنصف حين وصلا إلى الشركة.. في ذلك الوقت، هدأت المشاعر المشوشة التي تكنها أيمي لمخدومها، إلى درجة أنها عادت لتفكر بالاعتذار.

صعدت أيمي إلى مكتبها مع باردن ثم دخل هو إلى مكتبه. وضعت

حقيبتها على المنضدة، وهي تسمع وقع خطواته في الغرفة الأخرى. . تصرفت فجأة من وحي اللحظة. . دخلت لتعتذر، ووقفت عند الباب.

نظر باردن كوتنغهام إلى حيث تقف. . لكن الكلمات انحبست في داخلها. . وانتظر. . كانت نظرته تخترق شعرها الأسود اللماع، ثم تتجه إلى جسمها النحيل. . من دون كلام، عادت نظرته إلى وجهها، عينيها ثم فمها، حيث ترتجف الكلمات. . ثم عاد مجدداً إلى عينيها.

عرفت أيمي أنها إذا لم تتلفظ بهذه الكلمات بسرعة فستخسر كل وقارها، وتبدو غبية:

ـ أنا. . أردت الاعتذار. . عن تصرفي بالأمس.

تمنت لو لم تزعج نفسها. نظر إليها ببرود، ثم سألها: «ألا زلت عند رأيك بالأمس؟».

وهل يعني رأيها أنه جرذ قذر يتلاعب مع زوجة نيفيل شورت، ويدعي أنه صديقه الحميم؟ أجل. . لا زال رأيها كما هو. لماذا لا يتقبل اعتذارها وينسى الأمر؟. . لكنه ظل ينتظر ردها. واكتشفت أن كلمةً بسيطة، كاذبة ستنهي المسألة برمتها. . لكنها أحست فجأة أنها غير قادرة على الكذب.

قالت بهدوء: «أجل. . رأيي لم يتغير».

تحولت النظرة الجادة في عينيه من ثلج إلى جليد: «إذن، لا قيمة لاعتذارك».

أدارت أيمي ظهرها له فجأة، ودخلت إلى مكتبها. لكنها أحست أنها حمقاء، ومذلولة، وتمنت من كل قلبها لو لم تعتذر، لو تجاهلت صحوة ضميرها. . لقد قوبل اعتذارها بالرفض. هه! لن يقبل اعتذارها إلا إذا كان صادقاً. . وكم هو صادق! طعن صديقه في الظهر. .

أخذت تغلي غضباً. . رمت دفتر ملاحظاتها في الدرج. . وأحست برغبة في أن تقتحم غرفته وتلكمه. . لكنَّ صوته تناهى إليها بارداً من مكتبه: «دعي طباعة المذكرات إلى الصباح، أيمي».

هل هو جاد؟ أكان يعتقد حقاً أن في نيتها طبع المذكرات، هذه الليلة؟ إنها

تستغرق يوماً كاملاً! أرادت بشدة أن تتقدم إلى بابه، وتستخدم لسانها السليط. . بدلاً من هذا، قاومت هذا الإغراء والتقطت حقيبتها، ثم ذهبت بسرعة إلى الخارج.

تجنبت أن تفتح فمها، خوفاً من أن تتلفظ بكلمات وقحة، ثم قررت ألا تتمنى له ليلة سعيدة، إنه مرتبط الليلة بموعد غرامي مع روبرتا شورت في المسرح، ولا بد أنه تأخر. . وتمنت ألا يسمح له بالدخول.

وجدت أيمي صعوبة في النوم تلك الليلة. . كل ما فعلته، هو أن أغمضت عينيها، وراحت تنسج الأسئلة حول كوتنغهام وعشيقته المتزوجة. . ربما هما الآن، وفي هذه اللحظة، بمفردهما. . فشعرت بالازدراء. . تحركت لتسوي وسادتها بقبضتها وهي تتمنى لو تضرب رأسه.

استفاقت صباح الجمعة بعد ليلة مضنية، واستحمت ثم ارتدت قميصاً حريرياً أبيض، وبذلة من الصوف الكحلي القاتم. . رضيت عن مظهرها، وهي تعي أنها ستواجه يوماً قاسياً في طباعة مذكرات الأمس. كانت على وشك أن ترتدي معطفها، حين رن جرس الهاتف.

العمة هانا؟ إنها لا تتصل عادة في الصباح خلال أيام العمل. . ولو أنها، في بعض الأحيان، تخلط بين الأيام. وهذا أمر مفهوم جداً. . ربما ظنت العمة أن اليوم هو يوم السبت.

تقدمت أيمي إلى الهاتف، ونظرت إلى ساعتها، لاحظت أن أمامها خمس دقائق فقط، لتكلم العمة هانا.

لكنها سرعان ما اكتشفت أن المكالمة من «كيسويك هاوس» لا من جدتها، بل من ليزا براون. . أخبرتها أن السيدة وايتفورد مفقودة، وأن أحد الساكنين شاهدها تخرج منذ ساعة، دون أن تخبر أحداً إلى أين تتجه.

منذ ساعة! العمة هانا لا تخرج عادة من السرير في هذا الوقت المبكر! نظرت أيمي بسرعة إلى النافذة، تحاول أن تحافظ على رباطة جأشها. . الثلج يهدد بالسقوط. وسرعان ما سألتها: «هل كانت ترتدي معطفاً؟».

ـ أجل. . على ما يبدو.

فكرت أيمي بصوت مرتفع: «ربما ذهبت إلى شقتنا القديمة.. سأذهب إلى هناك فوراً».

واختلط الذعر بالقلق، وخافت أن تكون المسكينة قد عادت إلى نوبات النسيان.. ولم تضيع أيمي أي وقت.

في الخارج، صدمها الهواء البارد، فأدركت أنها لم ترتد معطفها.. لكن هناك أشياء أهم بكثير.. وسرعان ما سيغمرها الدفء في السيارة.. يجب أن تأتي بها.. يجب أن تعيدها إلى «كيسويك هاوس».. يجب أن تذهب إلى عملها.. أوه.. وكل ذلك العمل الذي يجب أن تنهيه اليوم! كم سيحسب باردن كوتنغهام هذا.. حاولت ألا تفكر به.. هذا أسبوعها الخامس في شركته لكنها المرة الأولى التي ستتأخر فيها.

أملت أن يسامحها مخدومها، زير النساء، ويرأف بسجلها المنضبط خلال خمسة أسابيع، من دون أن ينسى عملها المتفاني لساعات إضافية. ركزت أيمي على مشكلتها الآتية وهي تأمل ألا تتأخر بعد اليوم. إنها تبعد لخمسة أميال عن «كسويك هاوس».. أما الشقة حيث كانت تسكن، فتبعد سبعة أميال.. ودهشت أيمي كيف استطاعت العمة هانا أن تذكر العنوان القديم بمثل هذه الدقة.

مرت عشرون دقيقة تأخرت فيها في زحمة السير.. حين وصلت أخيراً، تطلعت حولها، تفتش عن أثر لعمتها الحبيبة. توقفت خارج سكنها القديم، دون أن ترى لها أثراً، وأخذت ترن جرس الجيران السابقين.. لكن، بلا جدوى. ذرعت أيمي الشوارع لساعةٍ أخرى. وبدأت تشعر باليأس.. ثم عادت إلى شقتها الحالية وهي تأمل أن تفكر العمة هانا بالذهاب إلى هناك.

لكن هذا لم يحصل.. اتصلت أيمي بليزا براون وكلها رجاء أن تكون العمة قد عادت. لكن ليزا نفت عودتها. عندئذٍ، قلقت أيمي حقاً.. وفكرت بالاتصال بالشرطة، ثم قررت أن تبحث عنها مرة أخرى..

فكرت كذلك أن تتصل بداون في الشركة، لكنها سرعان ما تذكرت بكرب أن باردن كوتنغهام سألها بشكل خاص عن التزاماتها الخاصة.. ولا

شك أنها ستواجه متاعب جمة حين تصل إلى المكتب، من دون الاعتراف أنها كذبت في مقابلتها الأولى.

عادت إلى الطريق نحو شقتها القديمة مرة أخرى. وقد خطر ببالها أنها لن تستطيع أن تفصح عن الحقيقة الآن.

على أي حال، تطاير كل هذا من رأسها ما إن وصلت إلى الشقة القديمة. رأت العمة هانا تخرج من سيارة ڤان لتسليم البضائع. ابتعدت الڤان.. ووصلت أيمي إلى الرصيف حين كانت العجوز تحاول تسلق السلم نحو الباب الأمامي.

نادتها، بصوت مرتفع: «عمتي هانا!».

لكن الصوت لم يكفِ لإجفال العجوز.. فاستدارت، وابتسمت لأيمي:

ـ مرحباً عزيزتي.. ألا تعملين اليوم؟ لقد انتظرت الحافلة طويلاً.. لكن ذلك السائق توقف و..

صمتت.. وقد خطر ببالها شيء أكثر أهمية: «هل تعرفين.. إنه يملك دراجة نارية، من نوع نورتون ١٦ هـ؟».

ابتسمت أيمي، وتنفست الصعداء لأنها وجدت العمة هانا أخيراً! كانت تحب الدراجات النارية كثيراً.. وقد امتلكت في صباها عدة أنواع منها.

سألت أيمي: «كيف حالك؟».

ـ أوه.. جيدة جداً.. كان السيد نورتون يخبرني عن متحف الدراجات في برمنغهام. إنه يفتح سبعة أيام في الأسبوع.

كيف يمكن ألا تحبها؟ ابتسمت أيمي مجدداً:

ـ سنزوره.. لكن ليس اليوم.. قريباً.. لقد حان وقت غدائك، هل نذهب إلى «كسويك هاوس؟».

كان الوقت يقارب الثانية عشرة حين أوصلت أيمي العمة هانا إلى «كسويك هاوس». لكنها لم تصل المكتب إلا عند الواحدة.. حين دخلت، لاحظت أن داون غير موجودة. فألقت حقيبتها وهي مسرورة لأن الباب

الداخلي مقفلٌ بين المكتبين.

لكنه، لم يبق مقفلاً طويلاً. لقد سمع وصولها من دون شك. فتح باردن كوتنغهام الباب وتقدم خطوة إلى الأمام، وتحولت نظرته إلى العدوانية أكثر. ابتلعت ريقها. أوه، يا للسماء. يبدو هذا أشبه بالنار والكبريت!

وبالفعل، فقد أخذ نفساً طويلاً، وكأنه يحتاج أن يسيطر على نفسه، ثم قال بنعومة، لم تدم طويلاً:

ـ بما أنك لم تدخلي المستشفى لحالة طارئة. هل تسمحين أن تخبريني أين كنت بحق الجحيم؟

وجدت أيمي صوتها بصعوبة: «أوه. كانت لدي. مشكلة منزلية».

وأملت أن يظن أن نظام التدفئة تعطل. لكنه قال ساخراً:

ـ لا تقولي لي إنك كسرت عادة حياتك، وسمحت لرجل أن يمضي ليلته معك!

واضح أن فكرته عن المشاكل المنزلية تختلف عن فكرتها..

ـ أنا لا أملك حياة ليلية!

تابع وكأنه لم يسمعها: «وما هو هذا الأمر «المنزلي»؟ ألم تستطيعي دفعه ليخرج؟».

فقدت أعصابها: «لا تحكم عليّ طبقاً لمقاييسك!».

أوه.. يا إلهي.. يبدو وكأنه على وشك أن يخنقها. لكن من الواضح أنه لن يهتم بهذا. أرادت أن تتراجع، وهي نادمة على كلماتها، لكن عبثاً.

أوه.. ماذا حل بها؟ لقد استنزفت حظها يوم أمس، في اليوم الذي قبله، ولا يمكن أن تكون محظوظة مجدداً. كم تحتاج إلى هذه الوظيفة!

حاولت أن تهدىء الجو الغاضب بينهما.

ـ هل.. ذهبت داون إلى غداء مبكر؟

قال بخشونة:

ـ لقد أعطيتها فرصة راحة اليوم! حين استطاعت أن تصل إلى الهاتف بالرغم من حالتها. قررت أننا يمكن أن نستغني عنها.

يا للساحر القذر!

قالت وهي تأمل ألاّ يصرفها: «سأعوض عن التأخير. سأعمل الليلة حتى وقت متأخر..».

قاطعها بخشونة: «هذا ما ستفعلينه بكل تأكيد. أريد تلك المذكرات، منتهية، وبين يدي قبل انقضاء هذا اليوم؟».

نظرت أيمي إليه بذهول.. لا بد أنه يمزح! لكن كبرياءها منعتها من الرفض.. من المفترض أن تطهو وجبة طعام لأدريان پاين الليلة.. وسألت: «هل أفهم من هذا أنك ستبقى متأخراً كذلك؟».

ابتسم. ابتسامة غير صادقة.. وكرهته.. هي التي لم تكره أحداً في حياتها، كرهت باردن كوتنغهام.. وكرهته أكثر حين رد عليها بلهجة ناعمة:

ـ أبداً.. سأغادر باكراً لحفلة نهاية الأسبوع.

نظرت إليه بعدائية وهي تحاول أن تكبت غضبها:

ـ أنت تطلب مني أن ألغي موعدي هذه الليلة، وأن أعمل هنا حتى أقع إعياءاً.. ثم أضع الملاحظات المطبوعة في الدرج حتى يوم الاثنين؟

لم يبتسم، لكن لهجته بقيت لطيفة:

ـ أنت لم تصغي إليّ جيداً أيملي.. لقد قلت إنني أريد الملاحظات منتهية بين يدي.. اليوم.

ـ لكن.. لكنك ذاهب إلى حفلة!

ـ هذا صحيح.

مد يده إلى ورقة، وكتب عليها بسرعة عنواناً وبعض التوجيهات:

ـ لا شك أن الحفلة ستستمر إلى ما بعد منتصف الليل.. وأنا واثق أنك لن تمانعي في إيصال المذكرات المطبوعة، في طريقك إلى بيتك.

أخذت أيمي الورقة منه، ونظرت إليها. ثم اتسعت عيناها. نظرت إليه.. العنوان.. كان عنوان نيڤيل وروبرتا شورت.. وفي اتجاه يختلف تماماً عن مكان سكنها.. لا شك أن كوتنغهام النذل يعرف هذا! أشاحت وجهها عنه إلى النافذة، حيث بدأ رذاذ الثلج يتساقط. حين نظرت إليه مجدداً لاحظت

www.elromancia.com

أنه يلحق نظراتها بدقة .

لكنه اكتفى بالابتسام . . وكرهته مجدداً! إنه يعرف تماماً أنها ستعمل كالمستعبدة حتى الساعة الثامنة على الأقل، تلك الليلة . . بعد ذلك، ستقود لساعة حتى تصل إلى منزل سيدة حبه!

فتحت فمها لتحتج . . ثم أدركت على الفور، من نظرته الحريرية، أن هذا ما يتوقعه . . فابتلعت احتجاجها، وهي تفضل رؤيته في الجحيم أولاً!

سألت بحلاوة: «هل هناك شيء آخر؟».

تراءى لها وميض إعجاب في عينيه . . لكنه اختفى في لمح البصر . . وعرفت أنه لا بد من نسج خيالها. اتجه إلى الباب، ثم استدار وقال بصوت هادىء، فاق هدوءها بكثير: «لا تنسي أن تلغي موعدك أيمي».

وخرج ليبدأ عطلة الأسبوع الشيطانية . . خيّل لأيمي أنها تسمعه يصفر وهو يذهب!

***

٣ـ هو . . . والعاصفة!

مرّ موعد الغداء، وأيمي لم تكف عن العمل بعد. قاطعها الهاتف عدة مرات. لكنها استمرت تعمل بأقصى سرعة حتى أنجزت واجبها بعد الثالثة بقليل. أحست بالجفاف والإرهاق، لكن شعور الانتصار طغى عليها.

أحست كذلك بعدوانية تجاه زير النساء، باردن كوتنغهام . . وكرهته . . وكرهته أكثر، لأنه يقضي حفلة نهاية الأسبوع في منزل عشيقته المتزوجة . . كيف يستطيع هذا؟

أسرعتِ أيمي إلى سيارتها، وهي لا تزال من دون معطف . . وسرها أن الثلج لم يغط الشارع بعد. . أدارت المحرك، وتوجهت نحو منزل نيڤيل وروبرتا شورت . . أجبرت نفسها على الهدوء . . بحق السماء . . لا شأن لها بما يفعله كوتنغهام.

أكملت سيرها، وهي تدرك أنها محظوظة . . بعد كل ما جرى، استطاعت أن تحتفظ بوظيفتها، وأن تستلم مرتباً مرتفعاً كذلك.

تلاشت كل هذه الأفكار من رأسها حين خرجت من لندن، وراحت تقود سيارتها في طقس رديء . . وبدأ الثلج يتساقط مرة أخرى . . سيتوقف قريباً. أكدت لنفسها هذا في اللحظة التي طالبت فيها معدتها بعنف بالغداء . لم تكن قد تناولت شيء منذ الفطور . . وتابع الثلج تساقطه .

بعد وقت ليس بقصير، رأت لافتةً أمامها. اكتشفت أن المكان الذي تقصده لم يعد بعيداً، فاستدارت عن الطريق الرئيسية، واتجهت نحو طريق فرعية .

في هذه اللحظات، استحوذ عليها التفكير بالطعام. كانت قد اتصلت بأدريان، واعتذرت عن المجيء.. لكنها أحست بجوع قارص، وأدركت أنها، إذا لم تتوقف في مطعم ما، فقد لا يسعفها الحظ في طريق العودة.

حين اقتربت من مطعَم، عرفت أنها يجب أن تأكل شيئاً قبل أن تصل، فسيكون كوتنغهام مشغولاً جداً بحفلته، ولن يلاحظ في أي وقت ستأتي إليه بالأوراق.. وهي تكاد تموت جوعاً! راحت تقنع نفسها أنها لو سلمته المذكرات قبل منتصف الليل، ستكون قد أنجزت مهمتها.. لكنها لا شك ستسلمه المذكرات قبل هذا الوقت بكثير. ستصل خلال ساعة من الآن، إذا كانت الخدمة في مطعم «فارمرز آرم» جيدة، واستدارت إلى موقف المطعم.

لم تكن الخدمة سريعة.. بدا لها أن دهراً مر قبل أن يقدّم الطبق بالقريدس الذي طلبته.. كان منظر الطبق لطيفاً، لكن طعمه لم يكن لذيذاً، غير أن أيمي كانت تتضور جوعاً، ومستعدة لالتهام أي شيء. بعدئذٍ، أسرعت هاربة وهي تشعر بابتهاج لم يساورها عند دخولها.

لكن الابتهاج غادرها حين فتحت الباب لتواجه عاصفة في الخارج.. كان الثلج يتساقط بغزارة! والطرقات مغطاة بأكملها..

اخترق صقيع الشتاء بذلتها الصوفية الرقيقة. فأسرعت إلى السيارة. كانت الساعة تقارب التاسعة والنصف ولم تصدق هذا!

حين انطلقت، حسبت أنها ستعود إلى شقتها في العاشرة والنصف، تقريباً. حسن جداً.. فلتنسى هذا؟ وأملت أن يسعفها الطقس، فتعود أدراجها بعد نصف ساعة من وصولها إلى هناك.

لكن الرياح لم تجر كما تشتهي السفن.. قدرت أنها ستصل إلى منزل شورت بعد حوالي الساعة.. لكنها تأخرت لنصف ساعة حتى الآن..

عصفت الريح، وتساقط الثلج كثيفاً وسريعاً، حتى باتت لا ترى شيئاً.. خشيت أن ينتهي بها الأمر في خندق على جانب الطريق.. فأبطأت سيرها.. وأحست أنها معزولة، وحيدة، وتكاد تستسلم لمخاوفها وتعود أدراجها.

لكنها تابعت المسير، وهي تذكر نفسها مرة أخرى أنه يريد هذه المذكرات.. لكن الأهم من هذا، أنها تريد.. لا.. أبداً.. بل تحتاج بيأس أن تحافظ على وظيفتها.

أحست بالإرهاق، جسدياً ونفسياً. كانت السائقة الوحيدة التي تقود في ليلة كهذه.. لكنها أحست بارتفاع معنوياتها حين وصلت إلى أطراف القرية التي تبحث عنها.

أراحت أعصابها لجزء من الثانية.. وكانت غلطة.. فقد انزلقت عن الطريق إلى وادٍ صغير، ثم اصطدمت بحاجز. وعرفت على الفور أن سيارتها لن تتحرك أكثر من هذا.. لكنها حاولت على أي حال.. وداست على الوقود بلطف.. لكن الإطارات غرقت في الثلج أكثر.. وبقيت تكرر المحاولة لعشر دقائق.. وهي تعرف تماماً أن لا جدوى من ذلك.. إنها بحاجة إلى جرّافة لتسحبها من مكانها. نظرت حولها.. لكنها لم ترَ جيداً. لم تفضل الخروج من السيارة، لأنها ستتجمد في الخارج، إلا أن المنطق يقول إنها لو بقيت في السيارة طوال الليل فستتجمد وتموت لا محالة.

فتحت باب السيارة بصعوبة. كانت السيارة قد انقلبت جانباً، فتمكنت من ضغط نفسها بشدة حتى خرجت أخيراً.

صدمها الهواء البارد.. ما إن تسلقت المنحدر الصغير حتى وقعت على وجهها.. استجمعت قواها ثم وقفت.. لمحت نوراً يلمع في البعيد. فسارت نحوه، وهي تتمايل وتنزلق على كعبي حذائها الأنيق، حتى وصلت أخيراً، وتبين لها أنه مصباح في الشارع.. غمرها الثلج حتى كاحلها، فوقعت مرة أخرى قبل أن تصل إلى المصباح. ثم رأت لافتة ثانية، فتقدمت لتمسح الثلج عنها.. علها تعرف مكانها. كان منزل أسرة شورت على مشارف القرية.. لحسن الحظ، تعطلت سيارتها في طرف القرية المناسب.. ولو استدارت يساراً، فلن تبعد عن المنزل لأكثر من مئة باردة.

تغلغل التمرد في نفس أيمي فيما هي تتهادى وتنزلق، ثم تنهض مجدداً لتتابع المسير، وتبتل أكثر فأكثر مع مرور الثواني.. ستسلمه المذكرات! لكن،

لماذا يريدها على أي حال خلال حفلة نهاية الأسبوع؟ هل يتوقع أن يملّ في الحفلة؟ يا ليت هذا يحدث!

تمنت كذلك أن يكتشف نيڤيل شورت أن كوتنغهام على علاقة مع زوجته، وأن يضربه حتى يقتله. . مع ذلك، تذكرت أخلاق نيڤيل اللطيفة وبنيته الجسمية المعتدلة، وعرفت أنه لن يستطيع مصارعة كوتنغهام الأقوى جسداً.

ووقعت أيمي مجدداً. . شعرت أنها مبتلة حتى العظام. . أخذت تغلي غضباً، لكن دون أن تشعر بالهزيمة. . لو أنها فقط لا تحتاج إلى هذه الوظيفة اللعينة النتنة، التي أعطاها إياها. . راحت تنعته بكل الأوصاف السيئة التي تعرفها. . ثم رأته. بدا أولاً، نور قاتم، وفيما هي تقترب، انقشع النور شيئاً فشيئاً. حتى كشف عن منزل كامل، يضج بالأنوار.

أحست أنها على وشك أن تقع وهي تدخل الطريق الداخلية، مرت بالسيارات المتوقفة المغطاة بالثلج. أرادت أن تصل إلى سريرها فقط. أحست بتعب شديد لمجرد التفكير بطريق العودة، بعد أن تسلم هذا الملف المبتل.

كافحت لتصعد السلالم، ثم تمكنت من قرع الجرس بأصابع خدّرها البرد. . كانت تسمع القهقهات والموسيقى من الداخل. . إنها تريد أن تنام. . وانفتح الباب. . ظهرت روبرتا شورت وقد بدت مذهولة. . وترتدي آخر صيحة في عالم الأناقة. . غمر الثلج الردهة وغطى السجاد الثمين.

قالت روبرتا بلهفة: «ادخلي. . ادخلي».

لم تنتظر أيمي دعوة أخرى. . عندما لم تتعرف روبرتا إليها، أدركت كم أن منظرها مزر. إلا أنها سرعان ما أشارت إلى وجهها وصاحت: «أنت أيمي. . أليس كذلك؟ باردن، أيمي».

كانت أيمي أكثر تعباً من أن تجادلها، فهي ليست أيمي باردن ولا أيمي أحد آخر. لكن، وكأنما مدفوعاً بالاسم، ظهر باردن كوتنغهام.

كان يرتدي قميصاً أبيض، وبذلة عشاء رسمية. لم يبد يوماً أكثر وسامة. . ولا أكثر ذهولاً:

ـ أنت. . ماذا تفعلين هنا؟

قالت بصوت مشاكس: «أنت تريد المذكرات!».

ـ لم تقودي إلى هنا في ليلة كهذه لمجرد أن. .

وصمت، واضح أنه لا يثق بالدليل الواضح أمام عينيه.

ـ وحده الغبي. .

كاد يكمل، لكنه غيّر رأيه فجأة، واستدار إلى روبرتا: «هل لنا أن نستخدم المكتبة؟».

قلما اهتمت أيمي أن يدعوها بالغبية أو أن تدخل إلى المكتبة معه. . لكن ما من مكان آخر ترغب في الذهاب إليه. . على أي حال كان يمسك ذراعها و. .

صرخ: «أنت مبتلة!».

ـ ستكون مبتلاً بدورك لو مشيت لعشرة أميال.

ـ وهل سرت عشرة أميال. . في هذا الطقس؟

لا عجب أنه لم يصدق. . وقالت: «أنا لست امرأة خارقة! لكن سيارتي انزلقت إلى خندق وتعطلت على الطريق. . بدت لي المسافة عشرة أميال».

ـ هل أصبت بأذى؟

مرّا بمرآة في الردهة. . فتوقفت. . وتوقف مرافقها بدوره. فسألت بصوت مرتعش عن الشخص المشعث الشعر، الأزرق الجلد الذي يحدّق بها:

ـ هل هذه أنا؟

لم يرد باردن بل كرر سؤاله: «هل أصبت بأذى في أي مكان؟».

بقيت تحدق، وهي لا تصدق، في صورتها. . ثم تمتمت ببؤس: «في كرامتي فقط».

أحبته للحظات حين ابتسم بلطف وتمتم بدوره:

ـ أنا واثق أن ما من أحد كان له يوماً مساعدة شخصية بمثل ولائك وأمانتك.

دفعها بعيداً عن المرآة، ليدخلها إلى المكتبة ويقفل الباب خلفهما. . وبقي

ممسكاً بذراعها وهو يشعل المدفأة الكهربائية .

قال : «قفي هنا لدقيقة، لن أتأخر» .

تركها، فتقدمت إلى النار وأسنانها تصطك . أملت أن يغمرها الدفء سريعاً . صدق باردن بوعده، وعاد يحمل المناشف وروباً منزلياً . .

- أرادت روبرتا أن تأتي بنفسها لتعتني بك، لكن هذه حفلة خاصة بزوجها . . فقلت لها إنك لن تمانعي في أن تتحمليني .

وابتسم .

لم تتوقع أيمي أن تكون هدفاً لفتنته قط . . كما أنها لم تكن واثقة من مشاعرها . . فقالت بتذمر :

- يمكنني الاعتناء بنفسي .

أجابها مهدئاً : «أنا واثق من هذا . . لكنني مديرك . . فتحمليني . . » .

بدأت أسنانها تصطك مجدداً . فتلاشى مزاجه، وقال بصوت متسلط :

- اخلعي ملابسك، وجففي نفسك، ثم ارتدي هذا الروب .

أرادت أن تجادل . . لكنها لم تملك الطاقة لهذا . بدا لها أن كلامه أفضل فكرة سمعتها منذ زمن، فرفعت يديها المجمدتين إلى أزرار سترتها، لكن أصابعها كانت باردة جداً، فلم تستطع أن تفك زراً واحداً .

لاحظ باردن ورطتها فتقدم أمامها، دون كلام، أو اكتراث . وبأصابع خبيرة، فك أزرار السترة وساعدها على خلعها . . ثم رماها على الأرض، ورفع يديه إلى بلوزتها الملتصقة بجسمها .

قالت بسرعة : «أستطيع . . . »

لكنها وجدت أنها لا تستطيع شيئاً .

وجدت أنها أحبته أكثر بقليل في هذا الوقت العصيب الذي تمر به أصابعها المخدرة . . تقدم إلى الأمام مرة أخرى وتمتم بلطف :

- أعتقد أنك لست معتادة على أن يخلع عنك الرجال ملابسك . . أيمي الصغيرة . . لكنني . . مميز .

انتابها إحساس غامض، وشعرت أن هذا الموقف من نسج خيالها . .

لكنها تمكنت أن ترسم ابتسامة . . هذه أول مرة يناديها أيمي !

- إذا استطعت أن تفك لي المشابك، سأتدبر أمر ما تبقى .

كان رده أن رفع يده وأخذ يفك أزرار قميصها قبل أن تحتج مرة أخرى . لكنها كانت تشعر بالهزيمة ولا تقوى على الكلام . . ثم سأل :

- هل تحتاجين إلى المساعدة في أي شيء آخر ؟

بدت لهجته ثابتة دون معنى . تراجعت إلى الوراء وهي تهز رأسها نفياً، فتلاقت عيونهما . . لكنه تقبل رفضها وقال :

- إذن . . اخلعي كل ثيابك بأقصى سرعة، وجففي نفسك جيداً، ثم ارتدي الروب .

بقيت تحدق به من دون حراك . . ذاب الثلج في عينيه فأصبحتا دافئتين، تبتسمان لها بكل لطف، فأحست برغبةٍ في البكاء .

قال بهدوء : «أنت نادرة أيملي لاوسون» .

واستدار ليتركها .

بقيت أيمي تتبعه بنظراتها لبضع ثوانٍ . . هل هذا هو نفسه الرجل الخنزير الذي تعمل لحسابه؟ وابتعدت عن النار وأكملت خلع ثيابها بسرعة قدر استطاعتها، وبقيت بملابسها الداخلية .

لم تملك طاقة لتدعك نفسها جيداً . . لكنها فعلت ما بوسعها، وجففت شعرها . . تدثرت بروب واسع، وبدأت تستعيد نشاطها . لفت منشفة بيضاء كبيرة حول رأسها . كانت لا تزال تحس بتعب شديد، لكنها بدأت تستجمع أنفاسها .

تناهت إليها أصوات الحفلة الصاخبة فيما هي جالسة على السجادة قرب النار . ودّت لو تقرضها روبرتا شورت بعض ثيابها القديمة . . لكنها سرعان ما تذكرت أناقة هذه المرأة، وشكت أنها تملك أي ثوب قديم .

فتح الباب خلفها فجأة، ودخلت موجة ضحك عالية قبل أن تنطفيء مجدداً . استدارت أيمي لترى مخدومها .

قال وهو يشرح أمر القصعة التي يحملها : «حساء . . يمكنك أن تتدفئي

www.elromancia.com

به فيما تتكلم».

تتكلم؟ وماذا هناك لتتكلم عنه؟

ـ أنت لا تنوي أن تملي عليّ رسالة، كما أخشى؟

حاولت أن تقف لكنه أشار إليها بملازمة مكانها. أعطاها الحساء.. ثم جرّ كرسياً يجلس إلى جانبها.

ـ أرى أنك استعدت لذاعة لسانك.. هل تناولت العشاء؟

ـ تناولت شيئاً على الطريق.. حينها لم أعرف أن الطقس سيكون رديئاً هكذا.. لكنني أشعر الآن بتحسن كبير.

ـ جيد.. اشربي الحساء.

عاد إلى تسلطه. ولم يعجبها هذا، أحست وهي لا تدري لماذا، أنها تريده أن يعود لطيفاً.. سارعت إلى استعادة رباطة جأشها.. يا الله.. لا بد أن الثلج أثر على عقلها!

قالت تعتذر: «أنا آسفة.. لا أحب أن أكون مصدر إزعاج.. لكنك أصريت أنك تريد هذه المذكرات بين يديك اليوم».

رد ببرود: «لم يخطر ببالي أنك قد تخاطرين بحياتك لتوصيلها».

ردت متصلبة: «لقد انحرفت عن الطريق.. لكنني خرجت من السيارة سالمة!».

ـ السيارة لن تذهب إلى أي مكان.. ولا أنت كذلك.

أرادت أن تجادله.. أرادت أن تخبره أنها ليست ضمن ساعات العمل الآن، لذا يمكنه الاحتفاظ برأيه المتسلط لنفسه.. لكنه قال إنها لن تذهب إلى أي مكان.. وبما أن سيارتها معطلة.. فأي خيار آخر لها؟ والحقيقة تقال، فكرة الخروج في هذه الظروف المخيفة في هذا الظلام الدامس، فكرة مرعبة.

لكن هذا لم يمنعها من التمرد، وسألت بحدة: «وهل تقترح أن أجد لنفسي زاوية آوي إليها حتى الصباح؟».

رد بهشاشة: «يمكننا أن نتصرف.. لكنك تعلمين أن ما من أحد له عقل، يمكن أن يقود سيارة هذه الليلة. لذا، سينصرف ضيوف روبرتا

ونيفيل الذين يمتلكون سيارات تندفع بقوة على الإطارات الأربعة، أما الآخرين فسيبقون هنا.. كما ستبقين أنت!».

قالت معتذرة: «أنا آسفة..».

ما الذي دهاها بحق السماء؟ إنها تشعر برغبة في البكاء مجدداً.

ـ أنا.. لم أنوِ أن أزعج البيت كله.. سأجد كنبة في مكان ما و..

قاطعها قائلاً:

ـ في حال لم تلاحظي بعد، هناك حفلة في البيت.. حفلة نرحب بانضمامك إليها.. لكن، كما يبدو عليك، أنت أكثر إرهاقاً من أن تقومي بأي شيء سوى النوم.

ردت وهي تفهم قصده بالضبط: «لا أعتقد أنني سأنال قسطاً من النوم في غرفة الاستقبال».

ابتسم، وبدا أن لابتسامته سحراً غامضاً. ووجدت أيمي نفسها تبتسم أيضاً.. لكن ليس لوقت طويل.

ـ الموقف هو على هذا النحو: كل غرف النوم محجوزة.. لكن..

أنبأتها غريزة ما أن الباقي لن يعجبها.

ـ ولكن؟

ـ لكن هناك سرير فارغ.

أحست بالقلق من دون أن تعرف السبب:

ـ أوه.. حقاً؟ هذا لن يعجبني.. أليس كذلك؟

ـ ليسَ لديك خيار آخر.. الفراش الآخر موجود في الغرفة التي سأستخدمها.

ـ ما من مجال أبداً!

ـ بإمكانك الخروج من هنا. جدي شخصاً يوصلك إلى منزلك!

ردت بلهجة متمردة: «لم أشاهد سيارة واحدة منذ تركت المطعم».

على العموم، فليعلم أنها تفضل هذا الحل على النوم في سرير في غرفته.

لانت تعابير وجهه فجأة.. وقال بتواضع:

ـ ثقي بي أيمي. . أعرف أنك لم تشاركي غرفة مع رجل من قبل. . لكن. .

قاطعته مجدداً:

ـ لقد غيرت رأيك سريعاً. هذا الصباح، قلت إنني تأخرت لأنني مرحت كثيراً في الفراش مع. .

قاطعها بدوره: «هذا الصباح، لم أكن متأكداً أنك. . لم تعرفي رجلاً من قبل».

تسمرت أيمي مكانها وكأنها ميتة. احمر خداها، وبسرعة، أشاحت بوجهها عنه. لقد وصل إلى هذا الاستنتاج الصحيح حين خجلت وهو يحاول أن يخلع ملابسها عنها.

انطلقت أيمي سريعاً باتجاه مضاد: «ماذا. . عن روبرتا. . السيدة شورت؟».

ـ من الطبيعي وأنا ضيفهما أن أخبرهما عن نواياي.

ـ و. . لم تعترض؟

نظر إليها بقسوة. . صحيح أنها تعرف بعلاقته مع مضيفته، لكنها لم تعطه أي دليل على هذا، وأكمل:

ـ روبرتا تهتم بكل شيء، لقد وضعت زجاجة ماء ساخن لتشعري بالدفء في الفراش. . وحرصت على دس ثوب نوم تحت الوسادة.

روبرتا موافقة! روبرتا. . عشيقته! روبرتا، موافقة على مشاركته الغرفة مع امرأة أخرى! نظرت أيمي إليه مصعوقة، ثم تذكرت كم كانت روبرتا أنيقة حين فتحت لها الباب. . وكم كانت هي مشعثة موحلة، وكأنها شيء يمتنع القط نفسه عن ملاحقته. . وتورد وجه أيمي مجدداً. . من المؤكد أن روبرتا ستنفجر ضحكاً لو أشار أحدهم أن أيمي يمكن أن تنافسها!

تخلصت أيمي من الموجة الثانية من الإحراج. ثم نظرت إلى باردن كوتنغهام. . وتذكرت كيف دعاها بالآنسة متزمّتة. . فجأة، أحست أنها اكتفت من هذا الكابوس المزعج.

ألقت قصعة الحساء الفارغة على الصينية وهي تصدر صوتاً مرتفعاً، ثم وقفت. . ووقف باردن كوتنغهام بدوره.

قالت بصوت هامس: «إذا وضعت إصبعك علي. . سأقتلك!».

قال بسخرية: «لو تحقق المستحيل، وشعرت بالاغواء فسأقتل نفسي!».

كرهته مجدداً، وهما يغادران المكتبة. . وكرهته وهو يرافقها صعوداً على سلم طويل. . وكرهته بشراسة أقوى حين فتح لها باب الغرفة. كان هناك مصباح مضاء بين السريرين. . كادت تسأله أي سرير له، حين تركها ليدخل إلى الحمام. . وسمعت جريان الماء، ثم عاد إليها.

ـ خذي حماماً ساخناً ثم نامي.

ازدادت غضباً حين سمعت لهجته الآمرة، لقد طفح الكيل!

ـ إذا كنت لا تمانع. . فأنا لا أكترث للحمام.

بدا أنه اكتفى منها كذلك.

ـ إما أن تعديني بأخذ حمام ساخن، أو أغطسك فيه بنفسي.

ـ أنت وأي جيش؟

نظر إليها بقسوة، ثم خلع سترته: «أرفض أن تصابي بالتهاب رئوي بسببي فيؤنبني ضميري!».

ـ هذه أخبار جديدة. . إن لك ضمير!

تراجعت خطوة. بدأت تضعف حين فك أزرار كميّه. . فأكملت:

ـ على أي حال. . الحقيقة العلمية تقول إنّه لا يمكن التقاط الرشح من البلل أو الصقيع. يجب أن تلتقط الفيروس قبل أن. .

وصمتت. . لقد رفع كميه، وعاد متجهماً إلى الحمام، واضح أنه يفحص حرارة الماء. لحقت به أيمي وصاحت بتوتر: «أوه. . عد إلى حفلتك».

عاد إليها: «وهل تعطيني كلمة شرف؟».

اضطرت إلى الاعتراف بالهزيمة: «تعرف أنك ستحصل عليها».

ابتعدت عن الحمام، تراقبه وهو يعيد أكمامه وأزراره الذهبية إلى ما

كانت عليه. سألته:

ـ هل كنت ستفعل هذا حقاً؟ ستغطسني في الماء الساخن؟

ابتسم قليلاً ثم أجابها: «أنت تعرفين حقاً كيف تفسدين سعادة رجل». والتقط سترته، وتركها.

تفسد سعادة رجل؟ بإعطائه وعداً وحرمانه من أن يغطسها في الحمام؟ أوه.. كم كان سيحب هذا.. فهي تعلم أنه سيغرق رأسها تحت الماء، ويبقيه هناك لبضع ثوان.

اكتشفت أيمي أن روبرتا لطيفة جداً، فبالإضافة إلى اللوازم الرجالية في الحمام، وجدت أقراص صابون معطر، وفرشاة أسنان ومعجون للفم.. ولعلها حنت على مظهرها المشعث، فأعارتها ثوب نوم فاتن شفاف لا يترك الكثير للخيال. خطر ببال أيمي أن تدس ثوب النوم تحت مخدة كوتنغهام وترتدي بيجامته.. لكنها عادت فتخلت عن الفكرة.

كان عليها أن تعترف أن الحمام الساخن أنعشها بعد ذبول. فغسلت ثيابها الداخلية ووضعتها على مشجب المناشف حتى تجف.

كان سريرها نعمة إلهية.. أبهجتها زجاجة الماء الساخن.. في هذا الوقت، عادت أيمي تفكر.. إنها مضطرة أن تشارك الغرفة مع زير النساء الخنزير هذا.

صحيح أنه فاسق، لكنه لا يتصرف بهذا الشكل.. واضح أنه يفضل الموت أولاً. حسن جداً، هذا يناسبها.. أحست بسخط لا تدري له سبباً.

راوغها النوم في البداية، مع أنها كانت تعبة جداً ولا تقوى على فتح عينيها.. فردت السبب إلى الاحساس بالغرابة والتوتر.. لكنها فكرت ملياً، لا شك أن الحفلة ستستمر إلى الصباح.. وهكذا، يمكن أن تغادر الفراش ما إن يدخل كوتنغهام لينام وتنزل إلى الطابق السفليّ.. وسرعان ما غلبها النوم.. نوم هانيء، تحتاجه كثيراً ليعيد إليها طاقتها.

لا شك أنها كانت تحتاج إلى هذه الطاقة حين استيقظت بعد الساعة الثانية من صباح السبت وهي تشعر بالغثيان. كانت الغرفة مظلمة. بقيت

مستلقية، تشعر بالسقام وهي تحاول التكيف مع ما يحيط بها، ماذا تفعل؟ أوه.. النجدة.. أين هو الحمام!

أحست بجيشان عنيف في معدتها، لم يكن لديها وقت للتساؤل عن مكان الحمام.. أمامها ثوانٍ فقط لتخرج من فراشها وتأمل أن تصل إليه.. وجدت يدها مقبض الباب، ثم زر النور.. ووصلت في الوقت المناسب.

انحنت أيمي وهي تشعر بالسوء، لكنها أحست أيضاً بالامتنان حين رأت ساقين إلى جانبها، ثم ظهر باردن كوتنغهام أمامها. اتسعت عيناه الرماديتان ثم تمتم:

ـ أوه.. أيمي.. أيمي!

أدارت وجهها عنه بسرعة، وهي تشعر بالسقم والحرج.. فسارعت يده إلى الامساك بها.. لن يعرف أبداً كم أراحها عمله هذا.

بعد أن أجلسها على كرسي الحمام، قالت بارتعاش ويأس: «أنا.. آسفة».

أجابها بلهجة اتهام: «لقد التقطت برداً».

هزت رأسها: «القريدس.. لا بد أنه القريدس».

ـ وهل تناولت القريدس؟

ـ فيما أنا في طريقي إلى هنا.. لا بد أن واحداً منها كان فاسداً.

ـ واحداً؟

ـ أو أكثر من واحد.. أوه.. أعذرني.!

وعادت إلى التقيؤ مرة أخرى.. في الواقع، بقيت مريضة جداً لثلاث ساعات متتالية.

خلال هذا الوقت، عادت إلى فراشها مرتين.. ومرتين كان باردن يرتاح على سريره، ثم يتواجد إلى جانبها حين تهرع إلى الحمام.. بدأت تتساءل هل سينتهي هذا أم لا.. حين توقفت فجأة.. أدرك باردن كذلك أنه انتهى، فساعدها مرة أخرى لتجلس على كرسي الحمام.

أحست بالاضطراب والارهاق.. حين طلب منها أن ترفع وجهها

إليه. . رفعته بكل طاعة ومن دون أي احتجاج.

ـ أيتها المسكينة الصغيرة أيملي. . كيف تشعرين الآن؟

قالت بشجاعة: «بخير».

حاولت أن تقف. . لكنها أحست بضعف في ركبتيها. فالتفّت ذراع باردن حولها على الفور، وقال:

ـ استندي علي.

استجابت بسرور. أجلسها ببطء. . أحست بيده ترجع شعرها عن جبينها. . وعرفت أنها أفضل حالاً، وأدركت كم أن منظرها مريع.

لم تستطع أن تكبت صرخة: «إنني متسخة وغير مرتبة!».

نظر باردن إليها. . ثم قال بهدوء: «أنت جميلة جداً».

أجفلها هذا. . حتى أنها أحست بضربات قلبها تتسارع. وقالت: «أنت متعب، لا تعي ما تقول».

أحبت ضحكته.

ـ واضح أنك على طريق الشفاء. . اجلسي مستقيمة.

ابتعد عنها ليعود بقميص نظيف.

ـ ثوب نومك مبلل.

أحست أنها كانت تعرق بغزارة وهي تتقيأ الطعام المسموم. .

ـ هيا آنسة محتشمة. . اخلعي عنك هذا الشيء وارتدي هذا!! أوكي؟

لبثت مكانها، فتحرك وأدار لها ظهره. . وقفت وهي ترتجف، ثم خلعت ثوب النوم الرطب وارتدت القميص. . التفت ليساعدها، وكأنه أمر واقع. فجأة، تراجع وعيناه تجولان على جسمها وساقيها الطويلتين.

ـ تبدين في القميص أفضل مما أبدو أنا فيه. . هل ستحسنين التصرف لو وضعتك داخل الفراش؟

عرفت جيداً أنه يمازحها، مشيراً إلى مغادرتها الفراش نحو الحمام. . وتوسلت إليه:

ـ دعني أنام فقط!

وهذا ما فعلت، فما أن وضعت رأسها على الوسادة حتى نامت من دون حراك.

استيقظت أيمي حوالي الساعة العاشرة. حين فتحت عينيها، وتذكرت كل شيء، استدارت بسرعة إلى جانبها. شعرت بالارتياح الكامل حين رأت الفراش الآخر فارغاً. . فهي ليست مستعدة بعد لمواجهة باردن كوتنغهام.

نظرت إلى ساعتها وأنزلت قدميها من فوق حافة السرير. . رأت القميص الذي تلبسه، وتأوهت. أوه. . خلال الليل ساعدها، إلا أن هذا لم يزعجها! أما هذا الصباح، فهي تود لو تهرب وتختبىء.

رفعت عينيها. . ولاحظت أن بذلتها وقميصها اللذين تركتهما في المكتبة، معلقان خارج الخزانة. . كانا جافين ومكويين بعناية. . لن يعود حذاؤها إلى سابق عهده، لكنه جاف كذلك، وقد نظف تماماً ووضع قرب طاولة الزينة. . وعلى الطاولة ذاتها رأت ثياباً داخلية نظيفة.

لا بد أن مدبرة المنزل حضرت كل شيء، بناء على تعليمات روبرتا شورت. . وأحست بامتنان كبير. كلما تعرّفت إلى روبرتا، كلما أعجبت بها أكثر. مع ذلك، كيف ترتبط بكوتنغهام من وراء ظهر نيفيل شورت؟

لم ترد أيمي أن تعير باردن كوتنغهام أهمية في هذه العلاقة. . تركت سريرها، لتكتشف أنها تشعر بالضعف قليلاً، لكنها أقنعت نفسها أنها بخير. أخذت دوشاً سريعاً. . يجب أن تعيد سيارتها إلى الطريق بطريقة أو بأخرى. . فهي ستصطحب العمة هانا في الساعة الثالثة. . فكيف تصل إليها في ظل هذه الظروف؟

ارتدت ملابسها. . كانت تدس حذاءها في قدميها حين دخل باردن كوتنغهام، وهو يفتح الباب بلطف كأنه لا يريد أن يزعجها. . بدا مندهشاً حين رآها خارج السرير بكامل ثيابها. لكنه امتنع عن التعليق، وسألها: «كيف تشعرين؟».

قالت بإشراق: «بخير. .».

ووجدت نفسها هدفاً لنظرة عناد.

ـ سألتك كيف تشعرين؟

إنه يبدأ في إثارتها. لكنها ثبتت ابتسامة على وجهها لتسأله:

ـ وكيف أبدو؟

تفحصها باردن، فتذكرت، بعد فوات الأوان، أنها لم تزين وجهها الشاحب، وأن الهالات الزرق تنتشر تحت عينيها..

أجابها: «رائعة».

استجمعت أيمي أفكارها، وسألت مبتسمة: «مثل زهرة الأوركيديا؟».

التوى فمه: «لقد عدت إلى سلاطة اللسان مجدداً. أتتناولين الفطور؟».

أزال السؤال الابتسامة عن وجهها: «لا تذكر هذا؟».

كان التفكير بالطعام يصيبها بالغثيان مجدداً. تقدمت خطوة.. ثم تراجعت لتقول:

ـ شكراً لبقائك معي. ولعنايتك بي. كان بإمكانك أن ترفع اللحاف فوق رأسك وتتركني وشأني.

قال ممازحاً: «ماذا..؟ أترك الآنسة لكربها؟».

ووجدت أنها أحبت هذا.

قالت بصدق: «حسن جداً على أي حال سيد كوتنغهام».

ورأت فمه يلتوي مرة أخرى فسألته: «ماذا...؟».

قاطعها وفي عينيه لمعان شيطاني: «لقد نمنا معاً. وما زلت السيد كوتنغهام؟».

احتجت قائلة: ليس بهذا المعنى! لقد تشاركنا الغرفة.. وهذا..

وصمتت.. حين لم يجد صدى لكلامه، تابع: «أنا أظن أيمي.. أننا أصبحنا نعرف بعضنا بما يكفي لأن تستخدمي اسمي الأول».

ـ أجل.. حسن جداً..

من أين أتتها عادة الاحمرار فجأة؟ حين أبعدت نظرها عنه، لمحت حقيبتها. لم تتذكر متى شاهدتها آخر مرة.. لكنها أملت أن تجد مفاتيح سيارتها فيها.. فتقدمت لتفتحها.

ـ من الأفضل أن أذهب لأنقذ سيارتي.

قال لها باردن: «لن تتحرك سيارتك من مكانها قبل أن يذوب الثلج عنها. لقد ألقيت نظرة عليها».

لكن هذا لم يوقفها:

ـ فكرت أن أجيء بجرافة لتسحبها من مكانها.

ـ واضح أن سيارتك لم تكن الوحيدة التي خرجت عن الطريق ليل أمس.. ستسحب سيارتك يوم الاثنين.

حملقت فيه: «لكنّ حالتي طارئة.. يجب أن أعود إلى منزلي.. و..».

ـ سأوصلك إلى منزلك.

كيف يمكنه أن يكون بمثل هذه الواقعية؟

قالت محتجة: «لكنك ستقضي نهاية الأسبوع هنا! لقد أفسدت عليك سهرتك بالأمس و...».

ـ هل قلت أنا هذا؟

ـ لا.. ولكن..

ـ اسمعي أيمي لاوسون.. سأوصلك إلى البيت اليوم. أنت تحتاجين إلى التركيز على الطريق. وبصراحة، لا يبدو عليك هذا!

شكراً! كيف يتوقع أن تبدو وقد أمضت نصف ليلتها تتقيأ؟ لم يطل به الأمر حتى يعود إلى الأوامر. لسوف تعود سيراً على الأقدام.. لولا أن هناك العمة هانا لتفكر بها.. لو ذهبت مع كوتنغهام الآن، ستتمكن من أخذ تاكسي لإحضارها من «كيسويك هاوس». مع ذلك، قالت:

ـ هذا ظلم بحق مضيفيك.. ستغيب لساعات، و..

ـ الجميع نيام.. من المستبعد أن ينهض أحد قبل الظهر.

أدركت أيمي أنها لا تقوم إلاّ بتأخير عودته إلى حفلة نهاية الأسبوع، فسألت:

ـ وكيف حال الطرقات؟

ـ كل الطرق الرئيسية سالكة.. من الأفضل أن نسلكها في ضوء النهار.

www.elromancia.com

التقطت حقيبتها: «وهل الآن وقت مناسب؟».

لم يقل شيئاً بل رافقها إلى خارج الغرفة، ثم فتح لها الباب الأمامي.

قالت: «هل يمكن أن تشكر السيد والسيدة شورت عني.. ومدبرة المنزل؟»

ـ طبعاً.

رافقها إلى سيارته، وهو يمسك بذراعها بقوة فيما كانا يخوضان الثلج المتراكم.

أغمضت أيمي عينيها وقد أعماها لمعان الثلج. حين فتحتهما مجدداً، تفاجأت أنهما على الطريق العام، يتجهان إلى منطقة سكنها.

صاحت: «كنت نائمة؟ أنا آسفة».

رد باردن بسهولة: «سيفيدك النوم. أظن أنه عليّ أن أنعطف هنا».

استيقظت أيمي تماماً، وأعطته الاتجاه إلى شقتها. توجهت سيارته الأنيقة إلى الطريق المنحدر، حيث تسكن. أخيراً، توقف أمام المنزل الخرب.

سألته بأدب: «هل تحب تناول فنجان قهوة قبل أن تعود؟».

أملت أن يقول إنه مضطر للعودة بسرعة.

قال يقبل دعوتها: «شكراً».

تقدم معها إلى الباب الأمامي. بدا الباب ضعيفاً لكنه لم يعلق على الأمر مع أنه يمكن أن يخلع بضربة كتف واحدة.

فتحه لها بالمفتاح وانتظر إلى أن دخلت.

كان المفتاح لا يزال معه حين عبرا الممر الأرضي إلى شقتها. فقالت: «هذه هي».

وفتح الباب.. فدعته إلى الداخل: «أدخل».

حين وصل إلى غرفة الجلوس.. لاحظ التناقض بين المظهر الخارجي والأثاث الأنيق. وأجال نظره في السجاد الثمين، الذي ورثته عن ذويها.

سأل: «هل تعيشين وحدك منذ زمن طويل؟».

أخذت عيناه تتفحصان نوعية الأثاث الممتازة قبل أن تستقرا على عينيها.

يجب ألاّ يعرف بأمر العمة هانا!.. وردت:

ـ ليس من زمن بعيد.. أنا.. سوف أحضر القهوة.

حاولت أن تبتعد، لكنه أمسك بذراعها ومنعها: «ماذا قلت؟».

ـ قلت؟

ـ أنت حساسة بخصوص شيء ما.

ردت متكبرة: «أعرف.. أنت لم تنم كذلك».

قالت هذا وكأنها تخبره أنه يعاني آثار ليلة مضطربة.. ثم انتزعت ذراعها من قبضته وذهبت إلى المطبخ.

لو ظنت أنها وضعت حداً للحديث بمجرد ابتعادها عنه، فهي مخطئة.. لم تكد تملأ غلاية الماء، حتى ظهر باردن خلفها. وانتشرت مجدداً ذبذبات كراهيتها له. لكنها انشغلت بتحضير القهوة.

سألت: «أتريد السكر؟».

كانت تعلم أنه لا يشرب قهوته مع السكر، لكنها أحست بضرورة كسر الصمت بينهما.

لم يجب عن سؤالها.. بل تمتم بلهجة لطيفة متواضعة: «متى مات والداك أيمي؟».

ولم تعد واثقة أنها في مأمن هنا.. ولا تريده أن يناديها بود هكذا.. فهذا يضعفها.. لكنها لم تجد ضرراً من إشباع فضوله.

ـ مات والدي وأنا في العاشرة. وأمي، بعد خمس سنوات.

ـ لا يعقل أنك عشت وحدك منذ كنت في الخامسة عشرة؟

حدقت أيمي به مذهولة.. حقاً! وسألت بغضب: «وهل هذا يهمك فعلاً؟».

كرهت الابتسامة التي منحها إياها: «ألم أقل لك تحمّليني؟».

ردت بعدوانية: «كان لي زوج أم!».

ـ ألم تتفقا؟

ـ بلى.. لقد أحببته.. لكنه مات منذ سنة.

رفعت نظرها إلى باردن، وهي تعرف أنها لن تقول له المزيد عن عائلتها . . وظيفتها أثمن من أن تبوح له بما أخفته في مقابلتها الأولى .

تبدل تعبير وجهه إلى اللطف : «لقد مررت بوقت عصيب . . ألم يتبق أحد من عائلتك؟» .

أوه . . ! اللعنة! أدارت له ظهرها . . عليها أن ترد بنعم أو لا . . وبكل صدق . . لكن هل تعتبر الجدات بالتبني من العائلة؟ أدركت أنها ترددت طويلاً . . فسارعت تقول : «لا!» .

ثم استدارت لتنظر إليه، فلم تعجبها النظرة الخبيثة في عينيه . . واعتذرت : «أنا آسفة» .

حاولت أن تجد عذراً لتأخرها في الرد، إنه حاد الذكاء . . حاد جداً . . ولا تريده أن يدس أنفه في ما لا يعنيه . . وقالت بحزم :

ـ أعتقد أن تأثير ليلة أمس كان قوياً جداً . وأنا . . متعبة جداً .

نظر باردن كوتنغهام إلى وجهها الشاحب، وتمتم :

ـ إنسي القهوة . . سأذهب . أما أنت، أيملي لاوسون، فاذهبي إلى الفراش .

ما إن أصدر أوامره، حتى أمسك بذراعيها معاً، وهي تنظر إليه مسمّرة، ثم انحنى ليعانقها .

بدا لها أن ضربات قلبها قد تسارعت بجنون، فدفعته عنها بسرعة .

وصاحت : «لم أكن مريضة إلى هذا الحد!» . وأحست أنها ترتجف، وقلبها يخبط بشدة .

منحها ابتسامة سحرتها حتى العظام . ومن دون كلمة أخرى، ذهب في طريقه . . انهارت أيمي على كرسي . . يا للسماء . . لا عجب أن النساء ترتمين عليه . . لكنها لن تفعل بالطبع . . ذلك الزير القذر!

***

٤ ـ أوان الحقيقة

لم يكن أمام أيمي وقت تضيعه لتذهب إلى الفراش كما أُمرت . وعلى أي حال، إنها تشعر بتحسن مع مرور الدقائق . . تأكدت أن كل شيء جاهز للعمة هانا، وقررت أن تذهب لتأتي بها .

سألتها العمة هانا : «أين سيارتك؟» .

ـ لقد انحرفت عن الطريق في عاصفة ثلجية ليلة أمس .

ثم أمضت بقية الوقت وهي تؤكد للعزيزة الحبيبة أنها بخير . جلست معها في المقعد الخلفي للتاكسي . . وبدأت العمة تفكر في الدراجات النارية . .

كانت العمة هانا بكامل وعيها، باستثناء أنها ظنت أنهما سيزوران متحف الدراجات النارية الوطني في ذلك اليوم . . لكنها قررت حوالى الساعة السادسة، وبالرغم من الظلام، أنها تريد الخروج لتتمشى . .

حاولت أيمي أن تصرفها عن الفكرة : «قد يكون الرصيف متجمداً» .

ـ سنسير على الطريق .

تنزهتا حول الحي، واقترحت أيمي أن تذهبا لزيارة متحف الدراجات يوم السبت المقبل، إن سمح الطقس بذلك . حين عادتا إلى المنزل، أحست أيمي أنها أفضل حالاً، فساعدت العمة على خلع طبقات الملابس التي أصرت على ارتدائها، وانطلقت تحضر العشاء باكراً .

كانتا في المطبخ تغسلان الصحون بعد العشاء حين رن جرس الهاتف . .

ردت أيمي : «آلو؟» .

فجأة، اندفع فيها الأدرنالين حين تعرفت إلى صوت باردن كوتنغهام!
ـ لقد حاولت الاتصال قبلاً، لا بد أنك كنت في الخارج.
استجمعت شتات أفكارها بسرعة: «أوه.. أجل. كنت في الخارج.. هل من خطب في المذكرات؟».
كيف يزعج نفسه بالمذكرات؟ وفي ليلة السبت؟ وهو في حفلة!
ـ أردت السؤال عن حالك؟ وهل تخلص جسمك من كل الأذى؟
قالت بنعومة: «أوه.. أوليس هذا لطيفاً؟».
سمعت ابتسامة في صوته وهو يرد ممازحاً: «كنت قلقاً من أن يعاودك الغثيان دون أحدٍ إلى جانبك».
ضحكت أيمي وأحست فجأة بالراحة حتى أنها نسيت حذرها وأجابته:
ـ أنا لست وحدي.. أنا..
وصمتت.. أوه يا إلهي.. لا يجب أن يعرف بأمر العمة هانا.
سألها بحدة: «أهناك أحد إلى جانبك؟».
ما الذي حدث لمزاحه؟ فات أوان التفكير الآن.. وجمعت أيمي شتات أفكارها.. قد يكون إلى جانبها أي شخص كان بحق الله! ولن يعرف من!
ردت: «أجل.. أجل.. عندي زوار».
أرادت أن تضيف شيئاً، لكنها وجدت نفسها تكلم الفراغ، بعد أن انقطع الخط.
عادت ببطء إلى المطبخ تتساءل لماذا قطعت المكالمة. ماذا فعلت الآن؟ لقد تحول بسرعة لا مثيل لها من الممازح اللطيف إلى المتصلب المهاجم.. عرف أنها ليست وحدها. لعله ندم على قلقه على موظفته التي راح يسأل عنها من وقت إلى آخر.
أرادت أن تعوض لأدريان باين عن يوم الجمعة، فصعدت إلى شقته لتدعوه إلى غداء يوم الأحد. في ذلك اليوم، أصرت العمة على مناداة أدريان بدايفد، وما عدا هذا مر الغداء بسلام.. في نهاية الزيارة، عرض أدريان أن يوصل أيمي في المساء التالي لتستعيد سيارتها.

تركهما أدريان حوالى الرابعة لينهي أوراقاً مهمة لليوم التالي.. بعد رحيله، علقت العمة هانا: «دايفد ولد لطيف».
كان أدريان يبلغ السادسة والعشرين من عمره، ردت أيمي: «إنه لطيف».
ولو أنها عرفت أن العمة لم تُعجب به حقاً.
في الرابعة والنصف، قررت العمة هانا العودة إلى «كسويك هاوس». أوصلتها أيمي في سيارة أجرة، وعادت إلى شقتها لتحضر ثياب الصباح.
صباح الاثنين، كانت أيمي قد استعادت عافيتها تماماً، ولو أنها استيقظت وهي تعاني من صداع حاد. وتناولت قرصين من الأسبرين، وعطست مراراً، لكنها رفضت التفكير بالرشح.
كانت مضطرة لاستخدام المواصلات العامة، فتركت المنزل في وقت مبكر جداً.. وهنأت نفسها لأنها وصلت إلى المكتب قبل التاسعة بعشر دقائق.
كان باردن كوتنغهام وداون أوبري في المكتب الخارجي. دخلت وهي تشعر بالحبور.. قد تدوّن نقطة سوداء على سجّلها، لأنها تأخرت يوم الجمعة، لكنها اليوم وصلت في وقت ممتاز... وما لبث أن حيتهما: «صباح الخير؟».
ابتسمت داون: «صباح الخير».
لكن باردن عبس. هل الذنب ذنبها إن كان يشعر بالصداع؟ لقد تناولت هي أقراص الأسبرين، لكنها تأمل ألا يجدها هو.. لقد قضى نهاية الأسبوع وهو يسيء إلى ضيافة زوج عشيقته.. كيف يستطيع هذا؟ اكتأبت أيمي مجدداً حين فكرت بالعلاقة بين كوتنغهام وزوجة صديقه، فدفنت نفسها في العمل.
كان الثلج قد بدأ ينحسر فبدت لها هذه النقطة المشرقة الوحيدة في ذلك اليوم. سيقابلها أدريان بعد ساعات العمل، فإذا سار كل شيء على ما يرام، ستتمكن من استعادة سيارتها الليلة.
تلاشت خطط استعادة سيارتها من تفكيرها، حين انغمست في عملها أكثر فأكثر.. في الواقع، نسيت كل شيء ما عدا العمل بين يديها. فجأة، انفتح باب كوتنغهام ودخل ليكلم داون.. في اللحظة عينها رن جرس

الهاتف. يا ليته وفر عناء رحلته! فداون خارج المكتب. ردت أيمي على الهاتف. كانت المكالمة من «كسويك هاوس».

قالت ليزا براون بقلق:

ـ السيدة وايتفورد خرجت من المبنى، ولم تقل لأحد إلى أين هي ذاهبة.

وعت أيمي أن باردن ينظر إليها متسائلاً، وكأنما ينتظر أن تكون المكالمة له.. ونظرت إلى محفظتها وهي تجاهد لتبقى هادئة.

ـ منذ متى؟

ـ منذ ساعة أو أكثر قليلاً. لكن غيابها لوحظ منذ نصف ساعة. بما أن المحال هنا تبعد لخمس دقائق فقط، فقد ظننا أنها ستعود قريباً. وهي في العادة تعود قبل هذا الوقت بكثير.

ـ هل..؟

لكن ليزا براون قرأت أفكارها:

ـ لقد أرسلت من يبحث عنها في المنطقة.. لكنهم عادوا خائبين. لقد فتشوا جيداً، ولا أثر لها. هل تظنين أنها عادت إلى شقتكم القديمة؟

تركز اهتمام أيمي على العمة هانا وحدها. ولم تعي أن مخدومها.. مخدومها المتسلط، موجود في الغرفة معها. أجابت:

ـ أظن أن هناك أملاً كبيراً.. دعي الأمر لي.

أعادت سماعة الهاتف مكانها، ورفعت نظرها. كانت تتفحصها عينان رماديتان باردتان، تراقبان، تنتظران.. أوه.. يا للسماء، إنها مضطرة إلى طلب إذن الخروج. إنها بحاجة إلى هذا العمل! لكن حاجتها للعثور على العمة هانا أكبر بكثير.

مدت يدها إلى حقيبتها وهي تكتم لهفتها وتقول لباردن:

ـ أنا آسفة.. أحتاج إلى فرصة لساعة أو يزيد.

بدت نظرته باردة: «أمن مشكلة مع صديقك؟».

نظرت أيمي إليه.. لماذا يظن هذا؟ ربما لأنه يعتقد أن لا عائلة لها.. كما أنه اعتقد أنها استقبلت رجلاً حين اتصل بها مساء السبت..

لكن، لا وقت لديها لمثل هذه التفاهات الآن.

ـ أنا.. يجب أن أسرع.

وقفت بعناد، وهي تأمل ألا تحتاج لأكثر من ساعة. لكنه سألها: «يبدو أن.. مهمتك.. مستعجلة؟ لكن ليس معك سيارة؟».

ـ سأستقل سيارة أجرة.

ـ وهل الأمر ملحّ إلى هذا الحدّ؟

هزت رأسها بحذر.. شعرت أن وظيفتها على المحك، لكنها ستخسرها بالتأكيد لو اكتشف أنها كذبت عليه. ومن خلال نظرة العناد في عينيه، عرفت أنه توصّل إلى قرار.. أخذت تدعو ربها ألا يردد الجملة المعتادة: «لا تزعجي نفسك بالعودة».

واستجيبت دعواتها، ولو أنها كادت تقع مصدومة حين كشف عن قراره، وقال:

ـ لا داعي لسيارة أجرة.. سأصطحبك بنفسي.

صاحت بذعر: «لا!».

ابتسم ابتسامة نفاق: «أحضري معطفك».

هنا، انفتح الباب لتدخل داون، فقال لها:

ـ أنا مضطر للخروج لمدة ساعة داون.. وسآخذ أيمي معي، اتصلي بي على الهاتف النقال إذا احتجتِ إليّ.

كرهت أيمي باردن كوتنغهام المتسلط، فيما هما يقطعان المرآب.. كرهته وازدرته وهي تركب السيارة.. لكن قبل كل هذا، ظلت متلهفة قلقة على قريبتها المفقودة.

أدار محرك السيارة، وسألها بهدوء: «إلى شقتك؟».

لم تثق بهذه اللهجة اللطيفة.. لماذا لا يبتعد عن شؤونها؟ إنه لا يتدخل في خصوصياتها إلاّ لأن لديه دافعاً فضولياً كبيراً.

ردت ببرود: «لا..».

وهكذا اضطرت إلى إعطائه عنوان شقتها القديمة..

www.elromancia.com

أضحى همها الوحيد الآن، أن تجدها سالمة. لقد تساءلت كيف ستنظر ليزا براون إلى الأمر إذا تكرر كثيراً. قد لا ترغب في إرسال الحرس للتفتيش عنها كلما قررت العمة أن تكسر القوانين والأنظمة. . لكن العمة هانا سعيدة في «كسويك هاوس» فماذا سيحصل لو طلبوا منها أن تغادر؟

أدركت أن أمامها ما يكفي من القلق دون التفكير في خفايا المستقبل. وكادا يصلان إلى مقصدهما. . فجاهدت لتطلب منه:

ـ لو أبطأت هنا قليلاً. . واتجهت إلى اليمين.

فتركا الأحياء الأنيقة. . وما إن وصلا حتى قالت بهدوء:

ـ لو أنزلتني هنا.

لم يكن هناك أثر للعمة هانا في أي مكان. لكنها يجب أن تتخلص من كوتنغهام أولاً. . وإذا لم تجدها هنا فستعود إلى شقتها الحالية في سيارة أجرة.

ـ شكراً لاصطحابي. . سأعود إلى المكتب في أسرع وقت ممكن.

ودون أن تلتفت لتنظر إليه، خرجت من السيارة وسارت نحو الباب الرئيسي لمنزلها القديم.

طوال الوقت، كانت تعي أن رب عملها لم يغادر بعد. لكنها ركزت على أمور أكثر إلحاحاً، وصعدت الدرجات إلى الباب الأمامي.

قبل أن ترن الجرس، انفتح الباب ليخرج منه جوني جيفونز، رجل من ألطف الناس الذين عرفتهم: «أيمي!».

ابتهج برؤيتها ومال عليها ليقبل خدها:

ـ ادخلي. . جاين في الداخل. . كلانا يتمتع بفرصة من العمل.

شرحت أيمي بسرعة أنها تفتش عن السيدة وايتفورد، وفسرت أنها تكون على ما يرام أحياناً، وأحياناً أخرى تصل إلى العنوان الخاطىء من غير أن تدري.

وجدت ورقة في حقيبتها وكتبت عليها رقم هاتف منزلها ومكتبها.

ـ هل تمانع لو اتصلت إذا رأيت السيدة وايتفورد؟

وعرفت أن جوني لا شك سيلهي العمة هانا بفنجان شاي ريثما يتصل.

ابتسم لها: «بكل سرور، سأصعد الآن وأعطي هذا لجاين».

شكرته أيمي، وتراجعت لتغادر. . ومرة أخرى فكرت كم كان مضيفاً حين قبل خدها مجدداً. . وقبل أن تصل إلى أسفل السلم عادت تفكر بالعمة هانا. نظرت حولها. . لا أثر للعمة. . ولمحت بدلاً منها السيارة الطويلة التي وصلت فيها! أوه. . يا للسماء! لقد نسيت وجوده!

لقد بقي باردن كوتنغهام هناك. . وجلس ليراقبها وهي تحيي جوني جيفونز، ليس هذا من نسج خيالها. . لكن، لماذا بقي؟ من خلال النظرة التي على وجهه، عرفت أن انتظاره لم يولد فيه أية سعادة.

فتحت فمها لتشكره مجدداً، ولتشير إليه كي يكمل طريقه، لكنه سبقها ليقول بحدة:

ـ أهذا كل شيء؟

أحست أنها ضائعة: «هذا. . ماذا؟».

نظر إليها بسخط، ثم قال بعنف: «اصعدي».

ـ أنا. .

نظرت نحو جوني بسرعة، فلوح لها مبتسماً. . فرسمت ابتسامة على فمها وردت له تحيته. . يا للإذلال! استدارت إلى الباب الآخر وصعدت. . فأدار باردن محرك السيارة وانطلق. . وما إن استدار حول المنعطف، حتى كانت أيمي قد استعادت رباطة جأشها. . وقالت:

ـ أنا. . لم أنه عملي بعد.

ـ ألم يكن هذا ما جئت لأجله؟

كانت أيمي قد أحست من قبل برغبة في ضربه. . لكنها أحجمت عن ذلك. . أما الآن، فهي تشعر بالتأكيد برغبة في التعويض عن الوقت الضائع. . وردت: «سآخذ سيارة أجرة».

تجاهل كلامها: «إلى أين نتجه الآن؟».

أخذت نفساً عميقاً ثابتاً. . كانت تقترب من خسارة عملها على أي حال. . فلماذا تهتم؟

www.elromancia.com

ـ إذا كان من الممكن أن تجول في المنطقة عدة مرات.

ولم يطالب بمعرفة السبب.. بل علق: «أمر مثير للعجب!».

ـ إسمع. لست بحاجة لهذا. يمكنني..

رد بسحر مزيف: «لن أحلم بأن أتركك. ولا يمكن أن أفكر بشيء أفضل من الدوران».

ماذا تستطيع أن تقول؟ لا شيء.. لو لم تكن بحاجة بائسة لعملها، لكانت أمرته بأن يغرب عن وجهها. هكذا، بقيت صامتة وهو يقود سيارته حول المكان.. وبينما كانت عيناها تنقبان الشوارع بحثاً عن الشخص الذي تسعى إليه، بقيت تتصرف وكأنها مرتاحة تماماً.

عادا إلى النقطة التي انطلقا منها.. وسأل: «مرة أخرى؟».

سوف تضربه قريباً!

لم تر عيناها أثراً للعمة هانا.. وقالت:

ـ هل يمكن أن تأخذني إلى منزلي.. أرجوك؟

ضحك في سرّه، ثم أدار رأسه فنظر إليها:

ـ وهل أصبت فجأة بالغثيان من ركوب السيارة؟

تجاهلته.. لقد سافرت أميالاً بعيدة معه من قبل، دون تأثير مرضي، وهو يعرف هذا، وهي الآن تشعر بالاحمرار لا بالشحوب.

بالرغم من قيادته البطيئة، لم تطل المسافة حتى وصلا إلى المنطقة التي تعيش فيها أيمي الآن.. ثم كوفئت عيناها على جهدهما، حين لمحت العمة هانا تبدي الإعجاب بدراجة نارية، فهتفت آمرة: «توقف!».

كان رده فورياً: «ماذا بحق...؟».

كانت الآن على استعداد للاعتذار منه عشر مرات:

ـ أنا آسفة.

وأكملت بهدوء: «أيمكن أن تتوقف أرجوك باردن؟».

من أين أتى اسمه الأول على لسانها؟ أحست بالتشوش قليلاً، وتساءلت هل أضعفها القلق حول قريبتها المفقودة. انتظرت أيمي إلى أن وجد باردن

مكاناً مناسباً ليركن سيارته، ثم ترجلت منها.

ركضت لبضع خطوات.. لكنها لم تشأ أن تجفل العمة هانا، فأبطأت سرعتها. حيتها بلطف: «مرحباً عمتي هانا».

أبعدت السيدة وايتفورد نظرها عن الدراجة النارية.. وردت:

ـ مرحباً عزيزتي.. ما رأيك بهذه؟ إنها هارلي. هارلي دايفدسون، أوليست جميلة؟

ـ جميلة جداً.

لكنها لم تكترث بالآلات، سيان عندها بين دراجة وأخرى.

كانت على وشك أن تقترح بلباقة، أن تأتي العمة هانا معها، فالطقس لا يزال يهدد بالمطر. لكن أيمي أحست أن أحدهم يتبعهما.. رجل طويل بهي الطلعة، لا ينبس بكلمة.. جاء مخدومها لينضم إليهما. فقفزت كلمة «التزام» إلى رأسها.. وتطايرت مشاعر الارتياح.. لماذا لم يبقَ باردن كوتنغهام في سيارته؟ دقائق أخرى وكان يمكن أن تفكر بشيء.. لكن، حين يقترب منها بهذا الشكل تشل كل قدرتها على التفكير.

لكنها كانت قد تدربت جيداً.. فأدارت العزيزة الحبيبة بعيداً عن الدراجة.

ـ عمتي هانا.. هذا باردن كوتنغهام.. باردن..

ولم تستطع النظر إليه، فقد تلاشت آمالها بالبقاء في عملها، أكملت:

ـ.. هذه جدتي بالتبني.. السيدة وايتفورد.

لم يبدُ عليه أي اضطراب.. ظنت أنه لن يضطرب يوماً.. ولو أنها استطاعت الحفاظ على أدبها، إلا أن أدبه لا يشوبه شائبة. مد يده اليمنى إلى العمة هانا ليصافحها، ثم سألها بأدب:

ـ هل أوصلك إلى مكان ما؟ سيارتي قريبة من هنا.

سألت العمة هانا: «هل أنت صديق أيمي؟».

قال بهدوء: «نحن نرى بعضنا كثيراً».

نظرت إليه السيدة وايتفورد بعناد وسألت: «ألست حبيبها؟».

احمرت أذنا أيمي . . فسارعت للتدخل قبل أن يرد :

ـ عمتي هانا . . ستلتقطين برداً وأنت واقفة هنا . .

ردت بابتسامة بريئة :

ـ لن يحصل هذا . . تذكرت نصيحتك يوم السبت فتدثرت جيداً قبل أن أخرج . . ولقد ارتديت عشرات الطبقات من الثياب .

سأل باردن : «وهل كنت برفقة أيمي مساء السبت؟» .

أحست أيمي أن المعركة تتصاعد . . لكن لماذا يزعج نفسه بقريبتها؟ لماذا يحاول أن يعرف إن كانت معها يوم السبت أم لا؟

على أي حال، لم تكن العمة في مزاج للرد بل سألته :

ـ هل لديك وقت؟ أعتقد أنني جائعة .

ودون انتظار الرد، تابعت : «بل أعتقد أنني سأعود أدراجي» .

قالت أيمي بلطف : «سأوصلك حبيبتي . . » .

كانت أيمي تفكر مجدداً باستدعاء تاكسي حين أمسك باردن بذراع السيدة وايتفورد :

ـ سيارتي هي السوداء . . هناك . . أين تسكنين؟

ردت بإشراق : «في كسويك» .

أحست أيمي برغبة جنونية في الضحك . . فكسويك بلدة تبعد أميالاً . عبس باردن، إذ كان أمامه بعد ظهر مشغول جداً . ولن يستطيع الوصول إلى كسويك، والعودة منها قبل الظلام!

قاد السيدة وايتفورد إلى سيارته، وهو ينظر إلى أيمي، وكأنه يسعى إلى التأكد من صحة كلام قريبتها . . واضطرت أيمي إلى إخفاء نظرة التشفي بسرعة . . حسن جداً . . هو الذي أصر على ألا تستقل سيارة أجرة . . هو الذي أصر على أن يدور بها في سيارته حول شوارع لندن . . هو الذي يرفض قبول «لا» كردَ . . لكن هذا كله ليس أمراً مضحكاً! إذ تنتظرها ردة فعل قاسية . . وتعرف أيمي هذا جيداً .

قالت بهدوء : «المكان لا يبعد لأكثر من خمسة أميال من هنا» .

لكنها لم تتلق شكراً على معلوماتها . . بعد أن وصلوا إلى سيارته، ساعد العمة هانا على الصعود إلى المقعد المجاور له، إما بدافع الاحترام لها أو بدافع الاكتفاء من أيملي لاوسون .

فكرت أيمي ساخطة: أعرف مكاني . . وصعدت إلى المقعد الخلفي لتكتشف أن العمة هانا أعطته التوجيهات الصحيحة .

حدثته قائلة : «هل لديك دراجة نارية؟» .

ومن دون أي كلمة نحو أيمي، تابع الاثنان حديثهما حول حب العمة هانا الطويل للدراجات .

وصلوا إلى «كسويك هاوس» وتولى باردن كوتنغهام زمام الأمور . . استندت السيدة وايتفورد على ذراعه من باب السيارة إلى الباب الأمامي . . ثم اقترحت عليه أن يحضر لتناول فنجان شاي ساعة يشاء .

ولتبرهن أن ذاكرتها لا تغرق في الضباب، إلا إذا كانت تتعمد النسيان، استدارت إلى أيمي وقالت لها بمحبة :

ـ أنت فتاة طيبة . . دايفد لا يستحقك . هل ستتزوجينه؟

فتساءلت أيمي هل كانت العمة تتصرف بمكر أم لا .

إنها ماكرة . . هذا ما قررته أيمي . . وابتسمت لها :

ـ سأعلمك حين يطلب يدي .

ـ إلى اللقاء حبيبتي . . سأراك يوم السبت .

قالت أيمي : «هل أجيء معك إلى غرفتك؟» .

ـ لا . . شكراً عزيزتي . . يجب أن أذهب لأكلم السيدة فيلاكون أولاً .

ثم استدارت إلى باردن، وقالت بامتنان :

ـ شكراً لك لتوصيلي .

أقبلت إحدى المساعدات بسرعة إلى الأمام وقالت بلهفة ولطف بالغين :

ـ سيدة وايتفورد! لقد قلقنا عليك كثيراً .

ردت العمة هانا بحزم : «دون حاجة أبداً» .

وتعالى صوتها بشدة وهي تنطلق بحثاً عن صديقتها . وإزاء ذعر أيمي ،

www.elromancia.com

أعلنت:

ـ كنت في نزهة مع حفيدتي وخطيبها.

فكرت أيمي أن تذهب لتجد لويز براون وتوجه إليها كلمة سريعة.. لكن هذه الفكرة تطايرت بعد أن أصبحت حمراء قرمزية. وهي لا تقوى على النظر إلى باردن كوتنغهام، لترى، كيف يتقبل زير النساء هذا الخبر.

تقدمت إلى السيارة، ففتح لها الباب وصعدت إلى المقعد الأمامي.. صحيح أنها فرحت حين سمعت العمة هانا تدعوها حفيدتها للمرة الأولى، لكن سعادتها تلاشت حين سمعت بقية كلامها.. وجدت صوتها المخنوق بعد أن انضم إليها في السيارة:

ـ أنا آسفة جداً.. لهذا. العمة.. السيدة وايتفورد.

وصمتت.. إنها على استعداد للدفاع عن العمة هانا حتى الموت.. لكنها مضطرة أن تعطيه شرحاً.

ـ السيدة وايتفورد تتشوش بعض الأحيان.. ولسوف..

ـ إنسي الأمر!

سرت لهذا.. لكنها خشيت الأسوأ، حين لاحظت أنهما لا يتجهان إلى المكتب.. وغاص قلبها إلى ما بين قدميها حين رأت أنهما يقتربان من منزلها.. وكلما اقتربا من شقتها أكثر، كلما عرفت أن شكوكها صحيحة.. لم تشعر برغبة في شكره. لا شك أنه سيوصلها إلى منزلها ويقول لها إنَّه لا مكان لها في مكتبه.. هذه هي الحال إذن..

توقف باردن أمام منزلها.. ربما يجب أن تودعه.. لكنها لم تجد صوتها.. وخرجت من السيارة واتجهت إلى بابها الخارجي، وهي تبحث عن المفاتيح في حقيبتها.

وجدتها.. لكنها رفعت رأسها بحدة حين انتزعتها منها يد باردة.. لم تكن تتوقع خروجه من السيارة.. نظرت إليه بذهول.. كانت مصدومة جداً، لأنها سلمته المفاتيح بسهولة.

تمكنت من استعادة شيء من شجاعتها بعد أن فتح لها الباب، وزاد

إجفالها حين أبقى معه المفاتيح وأشار عليها بالدخول.

هنا، برزت فيها نزعتها العنيدة. ورفضت أن تتحرك لخطوة أخرى.. لكن عنادها كان قصيراً.. فقد قتله، حين رد بتعبير قاسٍ:

ـ أنت مدينة لي بفنجان قهوة!

وفهمت أيمي أن صرفها من العمل سيكون شفهياً. حتى الآن، تصرف بأدب كامل، بحيث يتعذر على المرء أن يميز فيه هذا الجرذ القذر الذي يعاشر زوجات الرجال الآخرين.

أبدت أيمي تكبراً قدر ما تستطيع، ودعته بعد أن دخلت:

ـ تفضل بالدخول.

فتح باردن باب شقتها بينما كافحت أيمي لئلا تفكر بوضعها المالي المعرض للخطر.. زد على أنه لن يعطيها شهادة عمل أبداً.. وبدا مستقبلها كئيباً جداً.

كانا في غرفة الجلوس المريحة حين استدارت لتواجهه:

ـ أتسمح بالجلوس؟

نظر إليها بعينين رماديتين باردتين: «من بعدك!».

بعد جلوسه قربها، عرفت أنه ليس مهتماً بفنجان قهوة.. ولم يُضع المزيد من الوقت.. بل سأل على الفور:

ـ هل كانت كل المعلومات التي أعطيتها في المقابلة كاذبة؟

لقد أصاب الهدف تماماً. ردت: «مؤهلاتي كلها صحيحة.. كما قدمتها».

ـ لكنك كذبت في سبب قبولك عملاً مؤقتاً بعد إفلاس أوستر ترايدنغ؟

لم ترَ سبباً يدفعها للرد.. لقد وصل العمل معه إلى نهايته.. فلماذا تزعج نفسها؟ لكنها، فكرت ثانية.. لقد أهدر وقت عمله ليأخذها لتفتش عن العمة هانا.. كما أنها لم تحب يوماً أن تكون كاذبة معه.. لكنها ستحصل الآن على ما تستحق.. إنه مستقيم في كل أعماله، ولن يفكر بتوظيف أحد في مكتبه لا يتمتع بمستوى الاستقامة.

ردت تعترف: «نعم».

ـ انتهت كل وظائفك بعد أوستر ترايدنغ بالصرف؟

وكيف عرف هذا؟ ردت بخفة: «لا بد أنني اكتسبت عادة».

هل هذا كله ضروري؟ إنه ينهي خدماتها.. لذا..

سأل متجاهلاً خفقات قلبها: «لماذا؟».

ـ لماذا ماذا؟

قال: «أنا لا أناقش عملك.. لقد قلت إنك جيدة.. وأنت فعلاً جيدة».

لم تتوقع منه إطراءاً على عملها.. فضعفت:

ـ لم أصرف دائماً من العمل.. أحياناً، كنت أتركه.

ـ أعرف أن طباعك نارية!

هي؟ أطباعها نارية!

ـ لكن هل تسمحين بأن تخبريني عن السبب. أنا أعرف جيداً أنك بحاجة للعمل.. ومع ذلك، كيف يتغلب عليك طبعك؟

كونتغهام زير نساء فاسد.. وستقول له هذا!

ـ لا.. لن أقول.

تفرس فيها وهو يقيّمها للحظات، ثم نظر إلى وجهها الأحمر المتصلب.

ـ إذن.. سأقول لك أنا.

هيا قل.. أراهن أنك مخطيء.. لكنه في الواقع لم يكن مخطئاً.

ـ لقد صرفت من العمل في أكثر الأحيان بسبب الغياب والتأخر عن أوقات العمل.

عاد إليها الصداع الذي انتابها حين استيقظت، وقالت غاضبة: «لقد خمنت هذا!».

رد: «بل حصلت عليه كتابة».

نظرت إليه بذهول: «كتابة؟».

ـ مكتب شؤون الموظفين يباشر في التقصي والحصول على إفادات عمل،

سواء طلبها رئيس الشركة أم لم يطلبها.

أوه يا للعنة! إفادات العمل! ظنت أنها نجت..

ـ عادة، يحتفظون بها في الملف الشخصي.. لكن، بالرغم من أنني لم أطلبها.. أحس غارات أنني يجب أن أراها.

ـ منذ متى...؟

ـ وصلني آخر تقرير عنك يوم الجمعة صباحاً.

ـ حين.. تأخرت!.. أنت على صواب.. فمواعيدي كانت مريعة.. لكنني كنت دائماً أعوض بالوقت الإضافي.

تابع: «هذا إلى وقاحتك الكاملة.. حسب تقرير شركة سميث وودد العالمية..».

ـ كان كليف نوريس يلمح دائماً.. إننا يمكن أن نقدم على ما هو أفضل من العمل.. حين حشرني في الزاوية، ثم أمسك بي بقسوة.. حينها، أجل.. كنت فظة ووقحة معه!

ـ وهل تحرش بك؟

نظرت إليه بعدوانية:

ـ ليس دون أن يتلقى الرد! لقد ضربته! وتركت المكان!

لاحظت أن نظرته لانت قليلاً.. لكنها عرفت أنها فقدت وظيفتها.

ـ و.. أجل، أنا آسفة لأنني كذبت عليك حول أسباب تركي للأعمال المؤقتة.. لكن..

قاطعها بقسوة: «كنت مضطرة».

ـ أنا لا أكذب في العادة.. لكن.. كانت الظروف ضدي.

ـ ظروف؟

من حقه أن ترد عليه.. وبصدق.. لكن خوضه في لب المسألة بدأ يثير أعصابها.. لقد خسرت عملها، فمن الأفضل أن يتوقف عن السؤال!

هزت كتفيها: «قلت لك إنني آسفة لأنني كذبت عليك».

بدأ العناد يجتاحها مجدداً، فكفت عن قول المزيد.

لكنها واجهت عينيه الرماديتين الجادتين الباردتين.

- وهل أنت آسفة لأنك كذبت بخصوص تركك لوظائفك الدائمة الأخرى؟

يا للقذر! لقد اعتقدت حقاً أنها ستشغل وظائف دائمة حين بدأتها.. فهل الذنب ذنبها، إن هي التقت بفاسقين متجولين.. دون ذكر هذا الذي يجلس أمامها؟ لكنها سمحت لصدقها أن يظهر.. في الحقيقة، لم تترك كل الوظائف بسبب رجل وغد.. ففي بعض الحالات، كانت تصرف بسبب تأخرها عن أوقات العمل.

اعتذرت مجدداً:

- أنا آسفة أيضاً.. حين سألتني عن الالتزامات، قلت إنّه لا التزامات عندي.. أنا لا أفكر بجدتي بالتبني كالتزام.. لكن في سياق أسئلتك، عرفت أن لا فرصة لي لو قلت لك الحقيقة.

لم يعطها أية علامات لاعترافها، بل سأل:

- وهل السيدة وايتفورد هي كل ما تبقى من عائلتك؟

أقرت بهدوء: «أجل».

- وهل هي السبب في تأخرك الدائم عن العمل؟

هزت أيمي رأسها:

- ظننتها أصبحت أفضل حالاً. بدأت عمتي هانا تشعر بالتشوش بعد وقت قصير من موت ابنها، زوج أمي.. لكنها كانت مستقرة تماماً مؤخراً. فالحياة في «كسويك هاوس» ناسبتها تماماً.

- وهل انتقلت إلى هناك مؤخراً؟

- أجل.. يفترض أن تسجل إلى أين هي ذاهبة أو على الأقل أن تخبر أحداً حين تخرج.. لكنها لم تفعل هذا صباح الجمعة، ولا هذا الصباح..

- هكذا، اتصلوا بك؟

- أرسلوا من يفتش عنها حين فقدت. لكن حين لم يجدوها، اتصلت بي السيدة براون.. من عادة العمة أن تذهب إلى منزلنا القديم.

- كان هذا هو العنوان الأول الذي ذهبنا إليه؟

- وكما رأيت.. لم تكن هناك.

سأل بقسوة: «ومن كان الرجل الذي قبلك؟».

أجفلت أيمي: «أتعني جوني؟».

- لم تعرفينا بعضنا.

- جوني جار قديم.. وطلبت منه أن يتصل بي إذا جاءت جدتي إلى هناك.

- منذ متى تركت ذلك العنوان؟

تساءلت أيمي عن قصده:

- ليس من وقت طويل.

بدأت تشعر بالعدوانية.. وقررت أنها أجابت بما يكفي عن أسئلة رب عملها السابق.

تفحّصها باردن لبضع لحظات.

- لقد انتقلت تقريباً في الوقت ذاته الذي انتقلت فيه السيدة وايتفورد إلى «كسويك هاوس».

قررت أنه لا يعجبها..

- وماذا في هذا؟

- لقد تخليت عن مسكنك لتتمكني من دفع مصاريف السيدة وايتفورد بسهولة أكبر.

يا له من محلل! ومن يظن نفسه؟ وقفت على قدميها.. لقد اكتفت:

- أنت مخطىء!

نظرت حولها إلى أثاث أمها الجميل، وأضافت:

- قد تكون الجدران مختلفة، لكنني ما زلت محاطة بالبيت القديم الذي كبرت فيه.. ولمعلوماتك.. لدى السيدة وايتفورد مال خاص يؤمن مصاريف سكنها الحالي.

وقف بدوره ليسأل: «كل المصاريف؟ ألا تساعدينها أبداً؟».

يا له من خنزير!

www.elromancia.com

فتشت عن رد مشرف، لكنها لم تجد إلا أن تقول:

- سأريك باب الخروج!

خطت خطوتين.. لكنه لم يتحرك.. يبدو أنه لم ينته من استجوابه بعد.

- من هو دايفد؟

- دايفد؟

- الرجل الذي قد تتزوجينه.

- آه.. إنه أدريان.. اسمه أدريان وليس دايفد.

وصمتت قليلاً وهي تتذكر:

- سيأخذني أدريان لأسترد سيارتي الليلة.

ثم تقدمت خطوة أخرى لترشد مخدومها السابق إلى باب الخروج.

لكنها توقفت مسمرة حين قال متشدقاً:

- من الأفضل أن تتصلي به لتلغي اتفاقكما.

استدارت أيمي.. لن تتلقى منه أية أوامر أخرى.. وسألت بحدة:

- ولماذا تتصور أنني سأفعل شيئاً كهذا؟

نظرت العينان الرماديتان الباردتان في العينين البنيتين المشتعلتين ناراً.

- لدينا عمل كثير.. وأنا واثق أنك لن ترغبي في أن ينتظرك طويلاً.

فجأة، أطلق قلبها خفقات متفائلة.. لكنها، أجبرت نفسها على الهدوء.. قد تكون هذه أكبر مفاجأة لها.. أكبر عقاب:

- أنا.. لا أفهمك تماماً؟

ابتسم ابتسامة أعجبتها: «سأصطحبك لتستردي سيارتك بعد أن ننتهي».

- ننتهي؟

هل يقول إنه لم يصرفها من العمل؟ واضح أن هذا صحيح.

- ستعملين حتى وقت متأخر.

وخطا ليتجاوزها.. سار أمامها إلى الخارج ثم انطلق إلى خارج المبنى.

وتغلبت أيمي بسرعة على شكها، وأسرعت لتجري خلفه.

***

٥ ـ لحظات بعمر الزمن

حين احتفظت أيمي بوظيفتها، شعرت بارتياح لا حدود له واتصلت بأدريان لتعلمه أنها لن تحتاج إلى مساعدته ذلك المساء. ثم حاولت أن تركز على عملها.. لكن التفكير بباردن كوتنغهام بدا عقبة تقف في طريقها.

راح شعور الاعجاب يساورها من جديد. لم تكن ترغب أن تعيد إحياء المواجهة بينهما.. لكنها أدركت أنها كانت مواجهة ضرورية.. إذ لا يمكن لأحد أن يعمل في مكتبه إن كان لا يستحق ثقته تماماً.. أملت أن يعرف أنها أهل للثقة لا سيّما أنه يعلم الآن كل شيء عن خلفيتها، وعن سبب كذبها عليه. لكن لماذا تريده أن يثق بها، وهو الذي خان ثقة صديقه نيفيل شورت؟

لو شرحت له أمر جدتها الدائمة الشرود في مقابلتها الأولى، لانتهى أمر عملها على الفور. لكنّه، الآن، قد اختبر قدراتها، أولم يعترف أنها جيدة؟ وبمعجزة المعجزات.. لا زالت تحافظ على عملها!

سوف تعمل بجهد وتكون أفضل من جيدة، صممت على هذا.

وتذكرت سلوكه الحسن مع قريبتها، وكيف تبادل معها حديثاً شيقاً عن الدراجات النارية في الطريق إلى «كسويك هاوس».

كانت على وشك أن تقرر أنها، أجل.. معجبة حقاً، حقاً، بباردن، حين قاطعت داون حبل أفكارها:

- لقد تجاوزت الساعة الخامسة.. وإذا لم تكوني بحاجة إلى المساعدة، فسأعود إلى المنزل.

أكدت لها أيمي: «إذهبي. . فأنا على ما يرام هنا».

ـ هل نسيت أن لدي موعداً في الغد ولن أحضر إلى العمل حتى ما بعد الحادية عشرة؟

لم تكن أيمي قد نسيت. . . بعدما خرجت داون، راحت أيمي تفكر: لن تحضر مساعدته الأصلية في الساعات الأولى من الصباح، وبما أنها لم تعطه الردود التي سأل عنها في شقتها، فسوف ينفذ وعده بكل تأكيد: «سوف تعملين إلى وقت متأخر».

ولساعتين ونصف، ركزت أيمي على عملها. . عطست بضع مرات. . لكن لا وقت لها كي تلتقط رشحاً. . إضافة إلى هذا، شعرت أنها على قمة العالم. . لم تعد قلقة على مصاريف العمة العزيزة، ولا مضطرة إلى كتم سرها. . سوف تستقر العمة هانا من جديد، وسيعود كل شيء إلى طبيعته.

كانت أيمي تنظف منضدتها وترتبها، وتفكّر بإيجابية، حين انفتح الباب المشترك فجأةً ليكشف عن باردن كوتنغهام.

سأل بلطف: «أما زال أمامك عمل كثير؟».

ردت: «لقد انتهيت لتوي. . ».

بعد ذلك بوقت قصير، كانا مسافرين في الطريق عينه الذي سلكته وحدها ليلة الجمعة. . لكن المفارقة، أن الطريق، هذه المرة، مذهلة!

ما إن انعطفا عن الطريق الرئيسية، حتى قال باردن:

ـ على فكرة. . لقد سُحبت سيارتك.

ـ وهل دبرت هذا الأمر؟

ـ بدا لي هذا أقل ما أفعله نظراً لمخاطرتك بحياتك بسببي.

في الظلام، بدا صوته وكأنه حافلٌ بالسعادة. . وأعجبها هذا كذلك.

قالت معلقة:

ـ لا يمكن أن يفكر المرء الليلة أن الطرقات كانت مرعبة ليلة الجمعة.

قال ممازحاً:

ـ مع ذلك، فقد تخطاها فارس الجبل. .

أحست بقلبها يرتجف إعجاباً. .

كانت سيارتها متوقفة إلى جانب الطريق. . رافقها باردن إلى السيارة ليتفحصها. . وبقي معها إلى أن استقلتها وأدارت المحرك. . ثم أنزلت زجاج سيارتها، وسألته بفرح:

ـ ما رأيك بهذا المحرك؟ لقد دار من المحاولة الأولى.

انحنى باردن نحوها، وظنت أنه يريد أن يسمع صوت المحرك ويتأكد من صلاحيته، حتى تصل إلى المنزل دون مشكلة. . لكنه انحنى ليتطلع إليها. نظرت إليه. . بدت كالمخدَّرة. . لم تستطع أن تشيح بنظرها عن عينيه. . ولم تستطع أن تتحرك. . اكتشفت هذا ما إن دنا منها:

ـ أتعلمين أيملي لاوسون. . أعتقد. . أنك شخص لطيف جداً.

كانت لا تزال جالسة مسمرة حين عانقها برقة. . كان عناقاً لطيفاً، قصيراً. حين استقام أمامها، لم تستطع أن تتفوه بكلمة احتجاج.

ـ قودي بحذر أيمي.

وصلت أيمي إلى الطريق العام، وهي لم تستعد وعيها من الصدمة بعد. . في الواقع، لم تكن مصعوقة لأن باردن عانقها. . بل في الواقع لأنه أعجبها الإحساس الناعم لعناقه.

بعد خمس دقائق، كانت أيمي قد استعادت رباطة جأشها حقاً، وجمعت شتات نفسها. . حمقاء! لا بد أن الطقس البارد قد شلّ ردة فعلها. . كان يجب أن تعطيه صفعة عظيمة. وأن تصرخ به عالياً أن عشيقته تعيش في مكان قريب. . . سيان عندها لو ظن أنها إنسانة لطيفة. . فهي لا تستطيع أن تقول الشيء عينه عنه!

عادت هذه الأفكار لتبرز في الصباح التالي. . استفاقت بحرارة مرتفعة، وعطست عدة مرات، ثم بدأ رأسها يضج. . لم تدر إلى ماذا تسعى أولاً. . الأسبرين أم المحارم الورقية.

شعرت أنها كالميتة، لكنها جرجرت نفسها إلى المكتب. ما إن ترامت على الكرسي حتى تلقت أمراً من الهاتف الداخلي وسمعت صوت باردن يقول

لها: «لن أتلقى مخابرات للساعة القادمة».

ابتلعت ريقها ليبدو صوتها طبيعياً: «حسن جداً».

هذا يكفي. . وسكت باردن. . إما أنه مشغولٌ مع مدير فرع هام، أو أنه يحلّ مسائل معقدة.

خلال نصف ساعة، اعتذرت أيمي لعدة متصلين. ثم اتصلت روبرتا شورت. . أرادت أن تتكلم مع باردن. . أوه. . يا الله. . ماذا ستفعل الآن؟

ـ أنا آسفة سيدة شورت. . لكن السيد كوتنغهام طلب ألا أقاطعه. . هل آخذ. . ؟

بدت روبرتا مرحة، وحاضرة لتبادل الحديث:

ـ لا تقلقي. . المنزل فارغ الآن. . آخر ضيوفنا غادر هذا الصباح. إنها فرصة سانحة لأتحدث إلى باردن. . كيف حالك على فكرة؟ ألم تحدث لك مضاعفات بسبب الجليد، كما أخشى؟

ردت أيمي وهي تعي أن صوتها أجش بسبب الرشح:

ـ لا. . أنا بخير وشكراً كثيراً على حسن ضيافتك تلك الليلة.

ردت روبرتا: «هذا أقل ما نفعله. .».

لا يبدو عليها الغضب أبداً لأن أيمي أقامت في الغرفة ذاتها مع «رجلها».

ولم تكن أيمي سعيدة بمثل هذه الفكرة، فغيرت الموضوع. . وهي آملة أن تنهي المكالمة، بقولها:

ـ أنا واثقة أن الحفلة كانت ناجحة. . سوف. .

قاطعتها روبرتا: «بعد أن نظم باردن الحفلة، لا بد أن تكون ناجحة».

وجدت نفسها عاجزة عن مقاومة السؤال: «باردن؟».

صحيح أن هذا لا يعنيها، لكن روبرتا كانت ودية معها:

ـ ألم تعرفي هذا؟

واضح أن روبرتا ظنتها تعرف. . وأكملت المرأة:

ـ إنني فاشلة في تنظيم الحفلات. . ما كنت لأقدر أن أبقي على المفاجأة، لولا باردن. . لقد أردت أن أفاجىء نيڤيل في عيد ميلاده. . وكانت أفضل

حفلة عيد ميلاد حصل عليها. . لقد بلغ الخمسين. . وكان محبطاً فعلاً بهذا. . أعتقد أنني سأشعر هكذا حين أبلغ الخمسين. . على أي حال، وبما أن نيڤيل يدير أعماله في المنزل، عرفت أن لا فرصة لي. . لقد مرت بي لحظات مرعبة حين كاد يعرف. . كادت سارة بيرتش تنسف كل شيء حين اتصلت بي بدلاً من أن تتصل بباردن. . لكن لحسن الحظ وجهتها نحو باردن من دون أن يشعر نيڤيل بشيء.

ـ وهل كانت الحفلة. . مفاجأة كاملة لزوجك؟

ردت روبرتا وهي مبتهجة جداً:

ـ بكل تأكيد، ذهل رجلي العزيز تماماً. . كان يتوقع ليلة هادئة في المنزل، لكن الأصدقاء توافدوا واحداً تلو الآخر.

يبدو أن روبرتا شورت تعبد زوجها. . ولا يمكن أن تفكر بعشيق أبداً!

بالكاد استطاعت أيمي أن تتلفظ ببضع كلمات: «أنا سعيدة لكما».

وعادت إليها كل الكلمات، وكل الأفكار التي أساءت تفسيرها.

ـ أوه. . وأنا سعيدة كذلك. . لقد قال نيڤيل. .

توقفت فجأة:

ـ أوه. . أنا آسفة. . إنني أشغلك عن العمل! أستطيع أن. .

وصمتت مجدداً، ثم قالت بحزم:

ـ سأنهي المكالمة. . لا داعي أن تبلغي باردن باتصالي. . ولو أن نيڤيل قال. . أوه. . سأنهي المكالمة. باي أيمي.

ـ باي سيدة شورت.

لكنها كانت ترد على نفسها.

أوه. . يا الله. . كم تريد أن تموت. . وعطست. لكن أمنية الموت لا علاقة لها بالرشح. . كم أنت بلهاء! كم أنت وقحة! يا للعنة. . لا علاقة لباردن بزوجة صديقه! وهو لم يزر أسرة شورت ليلة أمس، لأنه يعرف أنهما مشغولان بالضيوف، على الرغم من أنه كان على مسافة قصيرة منهما.

فجأة، عادت إليها أطراف من الحديث. . حين اتصلت بها روبرتا،

قالت لها: «لا أريد أن يعرف نيفيل بما «أخطط» و «قد يشك..». «يجب ألا يعرف». أما باردن، فأجاب روبرتا: «ليس لدى نيفيل فكرة بنواياك». بالطبع لن يعرف، فالفكرة كلها مفاجأة له! «من غير المحتمل أن يطلقك». ولماذا يطلق نيفيل زوجته؟ جريمتها الوحيدة أنها دبرت حفلة رائعة لتبهجه لا سيما أنه يشعر بالإحباط لبلوغه الخمسين.

لم تشعر أيمي يوماً بعقدة الذنب كما تشعر بها الآن، أخذ كل شيء يتضح لها.. حتى موعد باردن مع روبرتا في المسرح يوم الخميس الماضي أضحى له معنى مختلف. لم تكن المسألة موعداً مختلساً بين حبيبين.. بعد أن أعد باردن الترتيبات للأمسية التالية، أراد أن يطمئن روبرتا المتوترة أن كل شيء سيسير على ما يرام حتى اللحظة الأخيرة..

فكرت أيمي ببؤس: لقد أساءت فهم كل شيء، وأحست بالاحباط في أعماقها. لكن، عليها أن تجد تبريراً للطريقة التي سارت عليها الأمور.. قد لا يكون لباردن كوتنغهام علاقة مع روبرتا، لكنه دون أدنى شك زير نساء فاسد. يكفي أن تنظر فقط إلى تلك النساء اللواتي يتصلن به ويقعن تحت تأثير سحره.. كلوديا، انغريد.. دون ذكر باولا وسارة.. و..

سارة! أوه.. لا! عادت إلى ذاكرتها كلمات روبرتا شورت «كادت سارة بيرتش تنسف كل شيء حين اتصلت بي هنا...» أوه يا للسماء.. أيعقل أن تكون هؤلاء النساء جميعهن من صديقات أسرة شورت؟ ربما، لم يتصلن إلا ليؤكدن على حضورهن للحفلة؟

حين أصبح باردن جاهزاً لتلقي المكالمات، كانت أيمي تتمنى لو تختبىء بعيداً.. حاولت أن تقنع نفسها أن باردن كان يجب أن ينكر حين عرف بوضوح ما تفكر به.. لكن لماذا ينكر؟ ومن هي على أي حال سوى «آنسة متزمتة»؟

عطست أيمي مجدداً، ثم سرت في جسدها قشعريرة باردة، مع أن المكتب كان دافئاً.. لم تتذكر آخر مرة أحست بالضعف هكذا.. يجب أن تعتذر له.. هذا مؤكد!

كانت لا تزال تعطس وتراجع نص اعتذارها حين انفتح الباب المشترك، ودخل باردن.. نظر إلى عينيها الدامعتين وأنفها الأحمر، ثم تراجع إلى الوراء حين أمسكت محرمة واقية وعطست.. وابتسم.

كانت ابتسامة كافية لإخراج كل تفكير بالاعتذار من رأسها.. تقدم إليها وتفحصها في عينيها، فنسيت أن هناك شيئاً تريد أن تقوله له.

ـ حسن جداً أيتها الآنسة الصغيرة التي تعرف كل شيء.. ظننتِ أنه لا يمكن التقاط الرشح من الجليد والبلل.. ظننت هذا واقعاً علمياً و...

قاطعته بصوت أجش: «هناك ڤيروس منتشر».

اقترب باردن: «ستذهبين إلى البيت!».

ردت بعناد: «لا.. لن أذهب».

وعطست مرة أخرى، فسارع يأتيها بالمعطف، وأمسكه لتدس ذراعيها فيه.. قالت محتجة من دون أن تتحرك:

ـ لدي عمل كثير.

ـ وهل تريدين حقاً أن تنقلي إلى داون رشحاً قوياً، إضافة إلى كل ما تعانيه من مشاكل حملها؟

وقفت تردُّد في نفسها: القذر! أشارت إلى دفتر ملاحظاتها متمتمة:

ـ الرسائل الهاتفية.

كانت قد سجلت أن روبرتا شورت اتصلت من دون أن تترك رسالة.. دست ذراعيها في المعطف وقد غادرتها نية الاعتذار. ثم نسيت كل شيء، ما إن لامست أصابع باردن عنقها وهو يبعد شعرها من تحت الياقة.

قال وهي تبتعد عنه: «أنت تحترقين! هل ستكونين على ما يرام إن قدت سيارتك؟».

ـ أعاني من رشح.. لا من التهاب رئوي!

ـ تأكدي ألا تصابي بذلك أيضاً! لا أريد أن يشكو ضميري.

نظرت أيمي إليه.. وأدركت أن لا شيء يثقل ضميره.. ولاح الاعتذار في رأسها:

-باردن.. أنا..

ومدت يدها بسرعة إلى منديل لتعطس.

قال آمراً: «إذهبي إلى البيت، واستلقي في الفراش.. ولازميه».

فجأة بدت لها هذه أفضل فكرة.. وذهبت.

أمضت أيمي بقية النهار في الفراش واستيقظت صباح الأربعاء لتكتشف أن الرشح أخذ منها مأخذاً، ولولا داون، لذهبت إلى المكتب.

بقيت في البيت.. اتصلت بالعمة هانا وتحدثت إليها مطولاً.. ثم أطل أدريان ليراها ويسأل عن حالها ذلك المساء، لكنه لم يرغب في التقاط رشحها ولا رغبت هي في صحبة أحد.

اتصلت بها داون يوم الخميس لتطمئن على حالها. في هذا اليوم، كان صوت أيمي الأجش قد تحول إلى نقيق، فقالت داون بإشفاق:

-لا تحاولي الكلام.. أستطيع أن أتكهن حالك.

تابعت أيمي: «وأنت كيف حالك؟».

-صدقيني.. أفضل منك بكثير.

وانتهت المكالمة.

بعد وقت قصير، رنَّ جرس الهاتف مجدداً، وسألها باردن كوتنغهام دون مقدمات:

-هل تحتاجين إلى طبيب؟

خفق قلبها بلا سبب، لكنها أجابته بحزم:

-يا للسماء.. لا! سأكون محرجة أمامه حتى الموت!

-لكنك تبدين مريعة!

-بل أبدو عظيمة!

أقفل الخط من دون كلمة أخرى.. فأعادت أيمي السماعة مكانها، واندست بين الأغطية.. كانت تبدو محطمة وتعرف هذا. أغمضت عينيها، سعلت، عطست، ثم جلست في السرير.. أحست أنها بحاجة إلى أسبوع من النوم، لكن السعال المتفاقم حال دون ذلك.

بعد ساعة، رن جرس الباب.. فكرت أن تتجاهله، لكنه رن مرة أخرى، فنهضت من السرير، وتدثرت بروب حريري، ثم تقدمت إلى الباب.

كان وجهها محمراً.. واحمر أكثر حين هتف باردن: «لقد كذبت علي!».

حسن جداً.. لم تبدُ عظيمة.. أدارت له ظهرها ودخلت غرفة الجلوس.. لحق بها باردن وهو يأمرها:

-اجلسي قبل أن تقعي.

ألقى الأكياس المتعددة التي يحملها على الطاولة:

-لقد زرت الصيدلية.

أحست أيمي فجأة برغبة في البكاء.. وقالت:

-مرت أجيال منذ...

صمتت وهي تبلع ريقها بصعوبة.

سألها: «منذ متى؟».

وتقدم ليجلس إلى جانبها.. فهزت أيمي رأسها، فيما أكمل بلطف:

-منذ.. اعتنى بك أحد؟

-منذ كنت خائرة القوى.

تفحصها باردن للحظة، ثم قال ممازحاً:

-دعيني أستفيد من هذه الفرصة. أنت في العادة دائمة التحفز ضدي.

تأوهت نادمة: «أوه باردن.. أنا مدينة لك باعتذار».

-وماذا فعلت؟

-لجرم لم ترتكبه قط.. لأن لا علاقة تربطك بروبرتا شورت.. وأنا..

ابتلعت ريقها مجدداً وهي تشعر بتورم في حنجرتها:

-ما كان يجب أن أطلق أفكاري إلى البعيد.. حين اتصلت السيدة شورت يوم الاثنين، أشارت إلى دورك في الحفلة التي تقيمها لزوجها.. وأحسست بالفزع.

رد باردن:

-أنت تختارين وقتك جيداً! في أي وقت آخر، كنت سأعطك.. وأخبرك

www.elromancia.com

أن لا شأن لك بالموضوع. لكن، أنظري إلى نفسك، لك عينان متضخمتان، وأنف أحمر من آخر طراز. من يستطيع أن يغضب منك؟

قالت متألمة: «أنت أكثر لطفاً مما أستحق».

ـ مهلك! سوف تبدئين بالمديح إذا لم تكوني حذرة.

ضحكت أيمي.. وهز باردن رأسه.

ـ بحق السماء، كيف يمكن أن تضحكي هكذا كالفتيات الصغيرات بإثارة لا تصدق، وتهزميني.

ضحكت مجدداً: «اللوم يقع على حنجرتي الأجشة.. هل أنا طائشة؟».

ـ وهل تشعرين بالطيش؟

ـ أشعر.. وكأني.. معجبة بك.

نظر باردن إليها بقسوة لبعض الوقت، ثم ابتسم فجأة:

ـ يجب أن آتيك دائماً بمقاوم للسعال.. ماذا عندك من طعام؟

ردت: «لدي الكثير.. أنا والعمة هانا، نملأ الثلاجة في كل نهاية أسبوع».

ـ إذن.. حافظي على صحة جيدة.

وتركها.

بقي يشغل تفكيرها لما تبقى من اليوم.. في الصباح التالي، شعرت بتحسن كبير.. كم أثر فيها حين فكر بالدواء الذي يهدىء حنجرتها، واهتم بتأمين مساعدات أخرى! كانت ممتنة كثيراً بعد أن اعتذرت، لا سيما أنه لم ينفجر غاضباً حين جرفتها الظنون.

كانت لا تزال تفكر في باردن حين اتصل بها في ذلك المساء:

ـ كيف حال ثاني أفضل مساعدة شخصية لي؟

ردت بلهفة: «لطف منك أن تتصل!».

لم تهتم لماذا اجتاحتها كل هذه الإثارة ما إن سمعت صوته.. هل أخبرته حقاً أنها معجبة به؟

ـ يبدو من صوتك أنك أفضل حالاً.

ـ أوه.. هذا صحيح. سأعود إلى المكتب يوم الاثنين.

ـ عودي حين تستعيدين عافيتك.. يجب أن ترتاحي في نهاية الأسبوع.

ابتسمت: «حاضر دكتور».

ـ أنت تعدين لنهاية أسبوع متهور، كما أعتقد؟

أفي صوته رنة تهديد؟ حسن جداً.. إنها غائبة عن مكتبه منذ أربعة أيام، لذا من الأفضل أن يرغب في راحتها، وأن يتمنى عودتها يوم الاثنين بصحة جيدة.

وجدت نفسها تعترف:

ـ لا أخطط لشيء متهور.. بل خططت فقط أن آخذ العمة هانا إلى متحف الدراجات الوطني في برمنغهام غداً.

اعترض: «لكن صحتك لا تسمح لك بهذا!».

في أي وقت آخر، كانت أيمي ستغضب من تصرفه، لكنها اكتشفت أن رشحها تفشى فيها أكثر مما تدرك. فأقرت قائلة: «أخشى أنني لا زلت أنقل العدوى.. لكن العمة هانا ستحتج. إنها وسائر سكان «كسويك هاوس»، قد عاشوا من العمر ما أكسبهم المناعة ضد رشح عادي».

ـ لكنك قلقة بالطبع من نقل الجرثومة إلى السكان هناك لو زرتها؟

ـ يمكنني إرسال تاكسي ليأتي بها.

ـ أنت تدركين بالطبع أن الجراثيم ستنتطط في السيارة المقفلة طيلة الطريق إلى برمنغهام.

بدا هذا أمراً وحشياً.. لكنها أقرت مكرهة بالمنطق في كلامه.

ـ لعله يجدر بي أن أترك الرحلة للأسبوع القادم.

ـ هذه فكرة أفضل بكثير.

ـ لكنني أستطيع أن آتي بها إلى هنا.. سأرسل لها تاكسي..

ـ لمَ لا أذهب أنا لأراها؟

ضاعت الكلمات من ذهن أيمي.. وكانت مذهولة.. فسارعت إلى أول ما تبادر إلى ذهنها:

ـ لا يمكنك أن تفعل هذا! ولماذا تفعله؟

ـ لأن مساعدتي الشخصية، متوترة جداً بشأن زيارة قريبتها بالتبني. وهي تريد أن تطمئن على حالها، بعد مغامرتها يوم الاثنين.. ولأنني سأمر من هناك غداً، ولدي كذلك نصف ساعة فراغ.

بدأت أيمي تحتج:

ـ لكن.. لا أستطيع أن أسمح..

ـ ثم إن السيدة وايتفورد دعتني يوم الاثنين لأشرب معها فنجان شاي.

ـ أجل.. لكن..

ـ يا لك من مجادلة!

بدت في صوته ابتسامة.

ـ هذا من طبيعتي.. لا بد أنني أتحسن.

قال آمراً: «تدفئي جيداً.. فالطقس بارد جداً في الخارج».

وأنهى المكالمة.. بينما بقيت أيمي تحلم به.

حين حل صباح السبت، كانت أيمي قد استعادت عافيتها.. لكن حين اتصلت بالعمة هانا، رفضت العمة رفضاً قاطعاً أن ترافقها أيمي.

ـ لم تكوني بصحة جيدة.. إضافة إلى هذا، سيزورنا بعض الهواة. بما أنهم تخلوا عن وقت فراغهم ليغنوا لنا، فمن الأدب أن نبقى ونصغي إليهم.

ـ رب عملي باردن كوتنغهام..

وشددت أيمي على كلامها كي لا تظن العمة أنه خطيبها:

ـ.. قد يزورك في وقت ما اليوم.

ردت العمة هانا:

ـ رائع! على كل حال، لقد دعوته في أي وقت يشاء.

وهذا ما أثبت لأيمي أن ذاكرتها جيدة تماماً.

بعد أن أقفلت السماعة، أحست أيمي بالابتهاج.. شعرت أنها أفضل حالاً، وأن شهيتها عادت إليها فجأة.. فقررت أن تسير إلى المحل القريب لتبتاع الفاكهة الطازجة، والخضار والحليب.

كما أنذرها باردن مساء الأمس، كان البرد قارساً جداً في الخارج.. وسرّها أن تعود إلى شقتها ليغمرها الدفء من جديد..

في الصباح التالي، انتظرت بشوق موعد استيقاظ قريبتها، لتتصل بها.. لكن، ما إن اتصلت، حتى تلقت صدمة عظيمة.

سألتها بعد التحيات الأولية:

ـ هل زارك باردن كوتنغهام بالأمس؟

ـ أوه.. أجل.. ولقد أمضينا يوماً رائعاً!

للحظات، خشيت أيمي أن تكون ذاكرة العمة قد خانتها مجدداً..

فأعادت سؤالها بلطف:

ـ هل.. بقي لشرب القهوة أو الشاي؟

ـ أوه.. لم يسعفنا الوقت لذلك! فشربنا القهوة في الطريق.. ثم تناولنا الغداء ساعة وصلنا.. أكنت تعلمين أن والده يحب السيارات الكلاسيكية وهو يملك العديد منها؟

كانت أيمي تجهل ذلك.. لكنها بدأت تقلق، وسألت بحذر:

ـ أين تناولتما الغداء؟

ـ في المتحف.

ـ المتحف؟ متحف الدرجات النارية؟

ـ بالتأكيد.. كان رائعاً! جميلاً!

وطفقت تتلو عليها أخبار الدراجات التي رأتها. وأحست أيمي بالصدمة.. وأنهت المكالمة وهي لا تعرف ماذا تصدق.. كانت تنوي أن تدعو العمة هانا إلى الغداء، لا سيما أنها شفيت من الرشح.. لكن تلاشت كل الأفكار من ذهنها، وتهالكت على مقعد ما. هل أخذ باردن العمة هانا حقاً إلى متحف الدراجات بالأمس؟ أم أن العمة تصورت كل هذا؟

أخرجت الطعام من الثلاجة ثم طهته على النار، وتفكيرها أشبه بدوامة مشوشة.. إنها تعرف رقم هاتف منزل باردن.. فهل تتصل به؟ أحست بالقلق.. وفي الوقت ذاته أحست بخجل غامر لا سبب له.

تقدمت إلى الهاتف عدة مرات. . لكن، شيئاً فشيئاً بدأت تقنع نفسها أن العمة هانا تخيلت كل الرحلة. . ثم طلبت رقم منزل باردن.

رن الهاتف تكراراً. . ليس في منزله. وأعادت أيمي السماعة، ولم تعجبها الأفكار التي ساورتها إطلاقاً. أتراه خرج للغداء في مكان ما. . مع كلوديا، أو باولا، سارة أو أنغريد؟ ماذا دهاها بحق السماء؟ يا الله!

بقيت على هذه الحال لوقت طويل، ثم ذهبت لتقشر البطاطس وتلقيها فوق النار. أعدت القنبيط الأحمر. . بعد ذلك، تعالى صوت جرس الباب.

اتجهت أفكارها فوراً إلى العمة هانا، فأسرعت إلى الباب لتكتشف أن هذا هو فعلاً يوم الصدمات. . فعلى عتبة الباب، وقف باردن كوتنغهام.

فتحت فمها، ثم أطبقته. . أما هو فدخل، وقال ببساطة:

ـ أرى أنك خارج الفراش، وترتدين ثيابك.

ـ لقد حاولت لتوي أن أتصل بك.

ـ هذا يحدث دائماً.

أحست بالغضب. . من الطبيعي أن يتوقع اتصالات النساء. . ثم علق وهو يشتمُّ رائحة غريبة:

ـ أشتم رائحة طعام لذيذ.

ـ لن تتمتع به.

ـ هل أنت شريرة هكذا دائماً؟

ردت بحدة: «إبقَ إذن للغداء!».

وكادت تقع أرضاً حين تقبل دعوتها ودخل بكل ثقة.

تركته في غرفة الجلوس بينما ذهبت لتتفقد البطاطا ولم يدهشها أنها أعدت طعاماً يكفي لإثنين. . فعقلها لم يكن يعمل ذلك الصباح.

أجفلها صوت من ورائها، وقال لها: «إذن. . أخبريني؟».

لماذا حاولت أن تتصل به؟ حين رأته أمامها وجهاً لوجه، نسيت أن تسأله هل اصطحب العمة هانا إلى برمنغهام بالأمس. . بالطبع لم يأخذها! مع ذلك، تذكرت كم كان لطيفاً مع العمة يوم الاثنين، وكيف عرض أن يزور العجوز

بالأمس. . بدأت الشكوك تساورها. لعله أخذ العمة هانا بالأمس. . إنه لطيف. . لكن هل يمكنه أن يكون لطيفاً إلى هذا الحد؟

ـ هل. . ؟

ولم تستطع أن تتفوه بالسؤال، فغيرته: «اتصلت بالعمة هانا هذا الصباح».

قال بعذوبة: «إنها ليست مشوشة الفكر كما كنت أعتقد. .».

ونظر إلى عيني أيمي الملتهفتين:

ـ تبدين أفضل حالاً. عدت تتمتَّعين بجمالك الكامل.

إنه يلهيها. . هل يمازحها؟ لكن، فليعتقد أنها جميلة. . ثم جمعت شتات أنفاسها:

ـ هذه موهبة. . هل زرت «كسويك هاوس» بالأمس؟

ـ قلت لك إنني سأفعل.

ـ يبدو لي أنك تبادلت حديثاً فكرياً مع جدتي بالتبني.

ـ نادراً ما ينقص السيدة وايتفورد، تدفق الكلام.

ـ كم أمضيت معها؟

كانت تعرف أنها لا يمكن أن تخدعه.

ـ لقد تمتعت بوقتها.

ـ أوه باردن. . لم تفعل هذا؟

ـ بل فعلته، وتمتعت كذلك.

ـ هل أخذت العمة هانا إلى برمنغهام؟

ـ بدا لي من العار أن أخيب أملها.

فجأة، خطرت لأيمي فكرة مريعة:

ـ لقد ظنت العمة أنك زرتها لهذا السبب، أليس كذلك؟

ـ لقد تورد وجهك.

ـ سأموت حرجاً!

ـ لا. . لم أزرها من أجلك! ماذا سنأكل للغداء؟

www.elromancia.com روايات

لكن أيمي لم تفرغ من المسألة بسهولة .

ـ مهلك دقيقة . . لقد زرت «كسويك هاوس» ، وكنت تنوي أن تبقى لنصف ساعة . . بدلاً من ذلك . .

ـ لقد قلت لك ، تمتعت بوقتي . . خبرة العجوز العزيزة في حقل الميكانيك مذهلة .

نظر إلى زجاج الفرن ثم أضاف : «أتعدين فطيرة يوركشاير لتتماشى مع هذا اللحم؟» .

لو كانت العمة هنا لحضرت الفطائر ، لكن الوقت متأخر الآن . . وهزت رأسها :

ـ عليك بتناول فطيرة تفاح في ما بعد .

أحست أيمي بالغرابة ، لا شك أن الغداء سيكون رسمياً متزمتاً ، بما أن باردن مخدومها ، وقد دعى نفسه إلى الغداء . . لكن هذا لم يحدث . . فلباردن سحر كبير . . وما عدا أنه ذكر رحلة العمل التي سيقوم بها الأسبوع المقبل إلى أميركا ، لم يأت على سيرة العمل قط .

كان يسألها بإصرار عن خلفيتها العائلية : «كان والدك عالماً» .

لا بد أن العمة هانا باحت بعدة أمور . . وردت بسؤال :

ـ وكان لوالدك عدة سيارات كلاسيكية؟

أحبت ضحكته . تابع السؤال بلطف :

ـ أتذكرين والدك؟ كنت في العاشرة حين مات كما ذكرت لي؟

واستسلمت أيمي :

ـ كان والدي رجلاً لطيفاً ، ودائم الشرود . لكنه بقي دائماً إلى جانبي .

ـ كما كان زوج أمك .

ابتسمت : «كان أبيك على عكس والدي تماماً» .

ـ ألم يكن شارد الفكر؟

ـ بل كان مرحاً .

ـ ماذا كان يعمل؟

ـ آه . . . ! كان . . مشغولاً دائماً .

ـ وأحب المغامرة . . لا تتعجبي . . أنا لم أسأل السيدة وايتفورد ، لكنها أخبرتني أنها لم تشارك في حديث لائق من زمن ، وأخذت تتحدث عن أي شيء يخطر ببالها ، فيما نحن في الطريق إلى برمنغهام .

تكهنت أيمي : «دار الحديث كله حول الدراجات في طريق العودة؟» .

ـ الدراجات والسيارات الكلاسيكية .

أو لا تعلم جيداً ميله إلى معرفة ما لا يعرفه؟

ـ حسب قول السيدة وايتفورد ، باع ابنها العديد من تحف أمك .

ـ ما زالت لدينا بعض التحف . . ولطالما تمكنا . .

ـ لدي فكرة أنك ستتمكنين دوماً من تدبير أمورك . أليس كذلك أيمي؟

لم تكن واثقة ماذا يقصد . . وأدركت أن ترددها تجلى على وجهها ، حين تابع :

ـ لقد انتقلت من منطقة مريحة جداً حين تغيرت ظروف معيشتك .

تغيرت الظروف؟ أجل يمكن أن تقول هذا :

ـ إنه الأمان . . الأمان المالي لي وللعمة هانا فهو من أهم أولوياتي .

ـ لقد انتقلت لأنك لم تقوي على تحمل أعباء العيش حيث كنت . . وليس لأن السيدة وايتفورد انتقلت إلى بيت العناية .

ـ إنها هناك حرة أن تأتي وتذهب ساعة تشاء .

ـ شريطة أن تقول لأحد أين تذهب .

حسن جداً ، هو يعرف أن العمة هانا تحب أن تخرق القوانين دائماً .

ردت ببطء : «من المهم أن تشعر أنها آمنة» .

ـ ألم تكن آمنة من قبل؟

ـ كان عليّ أن أذهب إلى العمل . . وأنا أحب عملي . لكنني اضطررت إلى تركها لوحدها لخمسة أيام في الأسبوع . لذا ، حين بدأت تنحرف ، ارتأيت مكرهة أنها ستكون أكثر سعادة إذا تمتعت برفقة خلال النهار .

ـ هكذا ، انتقلت إلى مكان أرخص ثمناً كي تحافظي على أمنك المالي .

www.elromancia.com

ابتسمت وهي تقاطعه :

ـ تصور الأمر كأنه تضحية كبيرة . . لكن هذا غير صحيح . . فالعمة هانا تدفع حصة الأسد من مصاريف السكن في «كسويك هاوس» . ولا أستطيع القول إنّ تأمين المال أمر جديد .

ـ أوليس جديداً؟

أحست أيمي أنها قالت أكثر مما يكفي ، وأكدت : «لا . . ليس جديداً» . وأقفلت الموضوع وهي تحضر أطباق الحلوى .

لكنه تابع أسئلته : «متى بدأ هذا؟» .

سألت بسخط : «ألا تستسلم أبداً؟» .

ضحك : «وما رأيك؟» .

كان في تعابيره سحر لم تستطع أن تقاومه . وجدت نفسها تحاول أن تتذكر متى بدأت تفكر بأمنها المالي .

ـ بعد موت أليك ، بدأت مرحلة جديدة ، أدركت فيها أن كل من تبقى من عائلتي هي العمة هانا ، وأن ما من أحد ليرعانا . . لكن ، بما أن أليك كان كما كان ، فقد أحسست بأول تهديد لأمني المالي حين باع المنزل و . .

ـ وهل كان يملك المنزل ليبيعه؟

ـ أصبح له بعد موت أمي .

قال باردن بصوت منخفض : «أوه . . أيمي» .

ـ ماذا تعني بهذا؟

ـ لا عجب أنك ساخطة على الرجال .

اتسعت عيناها ، ثم شغلت نفسها بالصحون وقالت تنكر :

ـ لست ساخطة على الرجال أبداً!

وقف باردن بدوره ، وتقدم إليها :

ـ متى كانت آخر مرة سمحت فيها لرجل أن يعانقك؟

ـ إذا أسعفتني الذاكرة . . يوم الاثنين الماضي .

ـ من؟

تكلفت الابتسام : «أرى أنني تركت انطباعاً لا ينسى» .

وعرفت أنه أدرك أنه هو نفسه الرجل الذي عانقها آخر مرة . ثم سألها والابتسام في صوته :

ـ هل أنت واثقة أنك لن تنقلي العدوى؟

ردت : «بكل تأكيد» .

صدمت صدمة حياتها حين أخذ الصحون من يدها وأعادها إلى الطاولة ، ثم احتضنها بين ذراعيه بحنان :

ـ سأخاطر على أي حال .

لم تعد قادرة على الكلام . . لكنها تمتمت بصوت أجش :

ـ إذا كانت هذه طريقة شكرك على الغداء . . فلا داعي أن تبقى لتغسل الصحون معي .

ودفعته بلطف عنها .

تركها باردن ، وأنزل ذراعيه إلى جنبيه : «أي نوع من الأنذال تظنينني؟» .

ضحكت . . ووقفا يغسلان الصحون معاً . حين ذهب ، كانت مشوشة تماماً . ولم تكن ساقاها يوماً بمثل هذا الضعف .

عادت أيمي إلى العمل يوم الاثنين وقد أقنعت نفسها أن السبب الوحيد لضعفها بالأمس ، يعود إلى آثار مرضها . . ثم راحت تقنع نفسها أن قلبها لم يرتجف حين رأت باردن ذلك الصباح .

فجأة أدار باردن اهتمامه إلى الملفات المكدسة على منضدته :

ـ إنني مضطر إلى السفر إلى ستراتفورد يوم الخميس ، وأحتاجك معي .

ـ حسناً .

كانت تعي أنه سيخبرها أنهما سيتأخران في العودة ، لكن لم يشكل هذا عائقاً لديها . وهكذا ، انطلق الأسبوع مليئاً بالعمل .

انضمت أيمي إلى أدريان في شقته حيث تناولا وجبة مسائية يوم الثلاثاء . . إنها معجبة به . . لكنهما لن يكونا أكثر من صديقين . وبما أنها تشعر بالأمان معه ، فهو بالتأكيد يشعر بالأمان معها .

مساء الأربعاء، أجرت أيمي حديثاً هاتفياً طويلاً مع العمة هانا فسألتها العجوز إذا كانت تمانع ألا تراها يوم السبت. فهي والسيدة ڤيلاكوت ذاهبتان لحضور مسرحية تعرض في إحدى المدارس المحلية.

وسألتها أيمي: «كيف ستتوجهان إلى هناك؟».

ـ سيصطحبنا صهر السيدة ڤيلاكوت ثم يعيدنا.

ـ وهل تتناولين الغداء معي يوم الأحد؟

ـ سأتطلع شوقاً إلى ذلك.. كيف حال باردن؟ هل رأيته هذا الأسبوع؟ أوه.. هل نسيت أنني أعمل عنده؟

قالت بحذر: «أنا أعمل عنده.. وأراه كل يوم».

ـ بالطبع.. بماذا أفكر؟

تبع ذلك صمت قصير ثم قالت بخبث:

ـ إنه مثير.. أليس كذلك؟ أوه.. ليتني أصغر سناً بستين سنة!

ـ لا يمكن تشجيعك على شيء.

ـ لقد فات أوان التغيير الآن.. لكن باردن ليس مضطراً إلى رفع إصبع واحد، فسرعان ما ستتساقط النساء عليه.

خلدت أيمي إلى النوم تلك الليلة وهي مصممة أنها لن تنضم إليهن أبداً. استفاقت في الصباح التالي وهي تتساءل ما الذي كانت تفكر به.. لن تنضم طبعاً إلى نادي المعجبات بباردن كوتنغهام.. الفكرة كلها منافية للعقل.

ذهبت إلى العمل وهي تدرك أنها تشعر بالتململ منذ الأحد الماضي، حين أخذها بين ذراعيه معانقاً.. ولماذا تشوش تفكيرها هكذا؟ لعل الأمر يتعلق بغرور باردن، فهو يعتقد أنها لا تسمح لرجل أن يفعل هذا..

حسن جداً.. ستكون حذرة كيلا يتكرر هذا. ولو أنه لا يبدو مهتماً بها من بعيد أو قريب.. فقد انشغل هذا الصباح في الحديث مع امرأة ما تدعى كارلا نيسبيت.. وعلى كل حال، لباردن كوتنغهام المحترم أعمال أهم بكثير من عناق مساعدة السكرتيرة الشخصية.

انطلقا إلى ستراتفورد في الثانية، وتمكنا من الوصول في الساعة الرابعة..

بدا باردن مشغول الفكر طوال الطريق.. إما أنه يفكر في العمل، أو في الموعد الذي دبره مع كارلا نيسبيت الفاتنة الصوت..

أنهيا عملهما في ستراتفورد في السادسة والنصف ورافقهما جاك براينت إلى سيارة باردن.. لكنه تقدم إلى جهة أيمي وكلمها بصوت منخفض:

ـ سيصبح طلاقي نهائياً بعد أسبوعين.

ردت أيمي: «تهنئتي لك».

ـ ما أحاول أن أقوله.. أنني سأكون حراً بعد أسبوعين.. رجل أعزب.. وظننت..

قاطعه صوت باردن بنفاد صبر:

ـ لن أمانع في العودة إلى لندن قبل منتصف الليل.

يا له من قذر! أيحاول أن يظهرها كفتاة صغيرة؟

ابتسمت أيمي: «إلى اللقاء جاك».

وبالكاد تلفظت بهاتين الكلمتين.. ركبت السيارة وهي تعي أنها بالرغم من إعجابها بجاك براينت، إلا أنها لا ترغب في الخروج معه.

قال باردن بقسوة: «عمّا كان براينت يكلمك؟».

ـ كان يخبرني بما آلت إليه حالة طلاقه.

لم تكن تشعر بالود نحو مخدومها... بعد مرور ربع ساعة سألها:

ـ هل تريدين أن نتوقف لنأكل شيئاً؟

كانت تموت جوعاً، مع ذلك أجابت:

ـ أتمانع لو تابعنا الطريق؟ لدي موعد في وقت لاحق هذه الليلة.

وداست قدمه على دواسة الوقود، لتندفع السيارة فجأة بقوة!

لكنه تذكر حسن الأخلاق حين وصلا شقتها. كانت أيمي قد هدأت. أما هو، فخرج معها وأخذ منها مفاتيح بابها.

لسوء الحظ، أمسك باردن بقبضة الباب المهترئ ودفعها بقوة، فانكسرت في يده، واخترقت شظية إصبعه.

على الفور، أمسكت أيمي بيده وسألته بخفة: «ألديك مربية أطفال في

المنزل؟».

ـ أتحاولين أن تكوني مضحكة!

لقد سئمت منه! كان يومها متعباً.. وواضح أنهما متنافران منذ البداية.. ردت بلذاعة:

ـ من الأفضل أن تدخل.. لا أستطيع أن أرى شيئاً في هذا الضوء.

وأملت أن تؤلمه!

توقعت أن يرفض طلبها لمجرد المشاكسة.. لكن، لدهشتها، بقي يمسك بمفاتيحها، وقطع الردهة الخارجية ليفتح باب شقتها.

قالت له: «لن أتأخر لحظة».

رمت معطفها على الصوفا، وتركته في غرفة الجلوس بينما ذهبت لتحضر الملقط الصغير.. عادت تحمل إبرة جراحة معقمة، وأمسكت يده ثانية لتتفحص الإصابة.. ثم قالت وهي تعده:

ـ لن تتألم كثيراً إذا لم تنظر.

وأحست بالخجل فجأة لأنها سبق وتمنت أن يتألم.

أجابها: «هل أحصل على الحلوى إذا لم أبك؟».

واستعادت أيمي روح مرحها.. أخرجت كل الشظايا بسهولة.. أوه.. ولقد أحبته لهذا.. أحبته!

ارتفع رأسها، أما هو فأخفض رأسه ليتفحّص ما فعلت.. وتلامس رأساهما.. ثم أشاحت بوجهها بعيداً.. لم تدر أيهما تحرك أولاً، لكنهما اقتربا، وامتدت يداه إليها، فعرفت مرة أخرى نعمة أن تكون بين ذراعيه.

كان عناقه ناعماً رقيقاً كما كان يوم الأحد تماماً.. لكن هذه المرة، أجبرتها ذراعاه على الالتصاق به.

وتحركت أيمي قليلاً، وضمها مجدداً، بلطف وعمق.. وعلى حين غرة، اشتعلت نار في أعماقها، لفت ذراعيها حوله وأرادت أن تقترب أكثر.. غمرها دفء جسمه فأثار فيها دوار.. لم تتصور أبداً أنها ستقترب منه بهذا الشكل. في الوقت ذاته، شعرت بالأمان بين ذراعين تنضحان بالرجولة، إلى

جانب رجل تحبه.

ثم، بدا أنه يبادلها أحاسيسها كافة.. فقد أحست بيديه وكأنهما تسعيان إلى دفئها. وتلامس جسداهما.. وكانت بالنسبة لها تجربة لا مثيل لها.

كان لغزاً بالنسبة لها، إنها بين ذراعيه، حيث طالما أرادت أن تكون، وفي لحظة النعيم تلك، تسللت منها فجأة كلمة «لا..» وأكملت بتردد وحيرة من مكان ما:

ـ لا، باردن.

أبعد يديه عنها، وابتعد ممسكاً بها من خصرها، ونظر إليها.. لم تستطع أن تحتمل نظرته.. واستدارت فجأة، تعطيه ظهرها.. ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تشعر بيديه تتركان خصرها لتمسكان بكتفيها.

همس في أذنها:

ـ لم يكن من المفترض أن يحدث هذا.

وعرفت أنه ندم.. فردت لتحافظ على كرامتها:

ـ هذا صحيح.

ـ هل أنت على ما يرام؟

لا.. إنها ليست على ما يرام! لقد اكتشفت لتوها أنها تحبه، وكانت تحبه، وعرفت أنها ستتألم ما إن يرحل عنها.

أجابت بخفة: «يا للسماء.. أجل».

لكنها تحركت بضع خطوات لتبتعد عنه.. وسمعته يتحرك وكافحت يائسة لتتنفس بشكل طبيعي.. ثم أدركت أنه صدق كلامها، وسمعت بعد ذلك باب غرفة الجلوس ينغلق وهو يخرج من الشقة.. على ما يرام؟ لا شيء سيكون على ما يرام مجدداً!

***

٦ ـ النار المحرّمة

عندما طلع ضوء النهار البارد وجدت أيمي أن حبها لباردن، لم يكن صورة من خيالها.

وقفت تحت الدوش، والشعور عينه يعذبها، كما عذبها طوال الليل.. إنها تحبه حباً صادقاً وقد حدث ذلك منذ اليوم الأول الذي التقته به.

لم تعد تتساءل ماذا جرى لقرارها صباح الأمس، قرارها بألا تسمح لباردن بالاقتراب منها.. فلم يكد يمد يده إليها.. حتى انتهى أمرها.

ماذا كان سيحدث لو لم تصب بالذعر الذي دفعها لتقول له «لا»؟ آه! إنها لا تجرؤ على التفكير حتى..

تركت حمامها وهي بعد لا تجد تفسيراً لوقوعها في حبه.. ولكن لا تفسير للحب فقد نقع في حب هذا الشخص دون هذا بدون أي سبب.. إنها تحبه، وهو حبّ سيبقى متجذراً ولا أمل في الشفاء منه.. لكن عليها أن تواجه الحقيقة فباردن لا يحبها.. ولن يحبها يوماً.

ما يمكن تفسيره الآن، هو تلك الدلائل الصغيرة التي لم تأخذها بعين الاعتبار، مثلاً ذلك الإحساس بالخذل، والتكدر، الذي كانت تشعر به كثيراً عندما اعتقدت أنه على علاقة بزوجة صديقه.

تذكرت كذلك أنها كثيراً ما تكدرت لأنها تعتقد أنه زير نساء فاسد.. حسناً، لقد ثبت أنها مخطئة هنا. أم أن هذا لم يثبت؟.. نعم، ربما هو لا يسعى

وراء السيدات انغريد، باولا وشركائهن، لكنه لا يبقى في منزله ليلاً. أليس كذلك؟ وعرفت واقعاً أنه الليلة سيخرج مع كارلا نيسبيت.

الغيرة، الغيرة الزاحفة كـ... النار، تحركت. ودفعت أيمي نفسها للعمل مصممة على التغلب عليها.. كما ستتغلب على حبها لباردن.. ولتستطيع تحقيق ذلك، عليها إلهاء نفسها بالحياة الاجتماعية.. لديها أدريان.. وقررت أيمي ألا يمنعها شيء من الخروج بين الحين والآخر.. وهي ستخرج مع أول شخص يطلب منها هذا.

تساءلت أيمي وهي تفكر في العمة هانا عما إذا كان هذا هو سبب قولها «لا» بالرغم من تجربة تلك الأحاسيس التي لم تعرفها من قبل؟ هل كان ضميرها يوبخها لأن عناقاته كانت تؤثر بها كثيراً؟ هل كان عقلها الباطني يحذرها بأن عليها ألا تسمح لنفسها أن تصبح امرأة أخرى من نساء باردن، لئلا ينتهي عملها بانتهاء العلاقة؟

ما زال أمانها المادي، وأمان العمة هانا في الصدارة.. أوقفت سيارتها وتوجهت نحو المكتب.. صحيح أن باردن لم يفعل أكثر من العناق.. لكنه صاحب تجربة، ولا يمكنها المخاطرة.

حيّت داون بحبور: «صباح الخير».

دخل باردن مكتبهما قبل أن تستعد أيمي لرؤيته ولكن متى ستكون مستعدة لرؤيته؟ تمكنت من لقاء عينيه، وأحست أن نظرته استوعبت احمرارها.

قال: «هلا أحضرت مذكراتك عن اجتماع ستراتفورد».

وهكذا بدأ العمل.

عادت أيمي إلى منضدتها وهي تشعر بالعداء تجاه من تحب. افعلي هذا، افعلي ذاك.. ولا يمكن لأحد أن يعرف أنه منذ أقل من أربع وعشرين ساعة كان يعانقها.. وعادت لتأمل ألا تكون كل نثرات الخشب خرجت من إصبعه.. وأملت أن يتورم إصبعه.

إنها تكره نفسها لأنها تتمنى شيئاً معيباً فهو طيب لطيف.

الآن، لن تراه مدة يومين كاملين. . وهذا أمر لا يطاق.

ذهبت إلى موقف السيارات تفكر في نهاية الأسبوع البائسة التي تنتظرها. ولكنها هناك في الموقف التقت بسايمون ألسويرث أحد المديرين.

ـ تساءلت عما إذا كنت تحبين الخروج معي للعشاء؟

ـ آه! أنا مشغولة في نهاية هذا الأسبوع. .

ـ لا داعي أن نخرج في نهاية الأسبوع. . ما رأيك لو خرجنا مساء الثلاثاء القادم؟

فتشت أيمي عن اللباقة، ثم تذكرت أن لدى كوتنغهام موعداً يوم الأحد. وهي تعرف بأمر كارلا. . ردّت: «أعتقد أن هذا سيعجبني».

ندمت على قرارها حتى قبل أن تغادر موقف السيارات. . مع ذلك، سرعان ما تلاشى سايمون من تفكيرها.

عندما استيقظت صباح السبت، قررت ألا تفكر ولو لدقيقة واحدة بباردن. . ولكن القول دائماً أسهل من الفعل، ولتشغل نفسها أخذت تنظف البيت، وارتاحت قليلاً حين نزل أدريان ليشرب القهوة معها. . ثم عرّت الأسرّة وأعادت ترتيبها. بعد ذلك غسلت وخبزت. . وأحست بالتعب، لكنها فكرياً كانت متيقظة فاستلقت في البانيو ثم آوت إلى الفراش.

ورغم التعب الشديد ظلّت غير قادرة على النوم. لكنها لن، لن، تفكر فيه! أخذت كتاباً كانت تقرأه وفتحته. . ثم استغرقت في التفكير في باردن. . فجأة أجفلت، ذلك أن جرس الباب تعالى رنينه.

لم تكن العمة هانا هي الواقفة بالباب بل هو، ويا للغرابة، باردن كوتنغهام! كان يرتدي بذلة سهرة وربطة عنق. . ففغرت فاها وانطلق قلبها بجريان سريع.

وقفت تحدّق فيه وهي غير قادرة على الكلام. وكان هو من تكلم، وهذا أفضل لها:

ـ أشعر بصداع قوي. . إنها الشقيقة. . ولا أعتقد أنني قادر على الوصول إلى البيت قبل أن يغشى بصري.

آه! يا لحبيبي المسكين! سرعان ما تحركت أيمي. . وتمتمت: «تبدو فظيعاً. . أدخل».

اتجه فوراً إلى غرفة الجلوس، أما هي فأقفلت الباب الخارجي. لاحظ أنها في ثياب النوم، فقال:

ـ لو أستطيع استعارة مقعد لفترة قصيرة.

إنه وقت القرار: «عليك أن تستلقي بدل أن تقف!».

لم تتوقع أن تراه ضعيفاً هكذا فبكى قلبها عليه. لقد شاركته يوماً غرفة نوم ولم تصب بأي أذى. . الحبيب المسكين. . لن يصل الأمر إلى هذا الآن، فلديها غرفة العمة هانا وسريرها.

ـ من حسن حظك أن سرير العمة جاهز.

ـ أليست معك هذا الأسبوع؟

أخذت زمام الأمور بيدها: «أنت تترنح! تعال. . من هنا».

وعرفت أنه يجد صعوبة في التركيز. قادته إلى غرفة العمة هانا. . وأجلسته على السرير ثم سألته:

ـ هل تجرعت دواءً ما؟

ـ أنا لا أصاب بمثل هذا الصداع دائماً، لذا لا أحمل معي أي دواء. . لكنني سآخذ أي مسكن تملكينه.

قرأت أيمي في مكان ما أنّ صداع الشقيقة حين يصيب المريض، فإن ذلك يعني أن الوقت تأخر على تناول أي دواء. لكنها ذهبت وحملت إليه مسكناً وبعض الماء فأعطته قرصين وانتظرت حتى ابتلعهما:

ـ لا يبدو أنها كانت أمسية ممتعة.

رد باختصار: «كانت حفلة. . وكنت أمر بالمكان هنا حين أدركت أنني أواجه المتاعب».

أسكتته أيمي: «لا تتكلم كثيراً».

أسرعت تنزع حذاءه وجواربه. . تقدمت لتساعده على خلع سترته. . وأدركت أنه يعاني فعلاً، فقد بدا أن كل حركة يقوم بها تؤلمه.

www.elromancia.com

كانت عيناه مغمضتين حين ضمته إلى صدرها لتزيل سترته . . أحست بوجهه على كتفيها . . تمسكت به ، لكن سرعان ما تركته بعدما علّق متعباً :

ـ هل تخططين لتنفيذ مأرب خبيث معي؟

ابتسمت أيمي . . محبطة! لكنها رفضت البقاء محبطة! ولفها إحساس بحب جارف وبحنان كبير . فطبعت على جبينه قبلة خاطفة ثم فكت ربطة عنقه وذراعاها حول كتفيه .

فكرت بإزالة قميصه ، لكنها ظنت أنه لا يريد ذلك وقالت برقة : «استلقِ إلى الوراء» .

حين أذعن فكت أزرار قميصه ، وحزام سرواله .

رفعت الغطاء فوقه ولفته به ، ووضعت يداً باردة على جبينه فرأت أنه فتح عينيه وقال بصوت لا طاقة فيه : «عانقيني أيمي» .

آه! كم تحبه . . تحبه!

ـ عدني بأن تكون مسالماً .

رد : «الآن فقط» .

قالت ممازحة : «يبدو هذا مشجعاً» .

ولأنها تريد هذا ، انحنت تعانقه بحنان .

تمتمت : «ليلة سعيدة» .

ابتعدت فرأت أنه لم يتحسن ولكنها أملت أن ينام نوماً يريحه من الألم .

بقيت أيمي في الغرفة حتى علقت سترته على ظهر الكرسي . . ثم أطفأت النور وخرجت بصمت .

عادت إلى الفراش وهي تأمل أن يستريح وينام . لكنها لم تستطع النوم . واعترفت لنفسها أنها تحب أن يكون قريباً منها . . فهذا يثبت أنه لم يخرج مع إحدى النساء . . أم لعله كان مع إحداهن؟ هل كان يقلّ مرافقته إلى بيتها حين أحس بالصداع؟ هل هي امرأة تسكن في هذه المنطقة؟

لم تستطع أن تستقر في نومها . . فنهضت من السرير وتقدمت على رؤوس أصابعها إلى الغرفة الأخرى . . وقفت ترهف السمع لكنها لم تسمع صوتاً .

عادت إلى سريرها ، وأذناها مطرقتان لسماع أي صوت . . حوالى الساعة الرابعة ، تمكنت أخيراً من النوم .

لم يدهشها أن تستغرق في النوم حتى وقت متأخر في صباح الأحد . لكن ما أدهشها هو أن تستيقظ فترى الرجل الذي تحبه في غرفتها .

وجدته الآن مرتدياً روب العمة الذي تبقيه على مشجب خلف الباب .

حاولت أيمي الجلوس رافعة معها شعرها الأسود اللماع المنتشر في كل مكان . . لاحظت أن الروب لا يناسب أبداً جسمه ، فأكمامه مثلاً لا تكاد تصل إلى نصف ساعديه . . ونزلت عيناها إلى قدميه الحافيتين . ثم عادتا إلى وجهه الذي بدا أكثر إشراقاً هذا الصباح . ولأنها تعي منظرها الأشعث وشعرها المشوش ، أحست بمزيد من الخجل :

ـ كيف تشعر الآن؟

كان رده الأولي أن ترك عينيه تجولان ببطء في شعرها الذي بعثره النوم وفي بشرتها المتوردة . ثم ابتسم ، تلك الابتسامة التي تضعف الساقين ، ورد :

ـ ما كنت يوماً أفضل . . ولو أن . . .

وصمت واستند إلى خزانة الأدراج .

سألت ببطء : «ولو أن . . ؟» .

ـ ولو أنني أعتقد أنني أفسدت عليك حياتك العاطفية .

لكنه لم يبدُ قلقاً كثيراً بشأن هذا الأمر . وتابع :

ـ أتعرفين شخصاً اسمه أدريان؟

إنه يعرف هذا تماماً . . لكن كل شيء جائز! ومعروف عن أدريان أنه ينزل أحياناً ليستعير شيئاً صباح الأحد . . أو في أي صباح آخر .

تأملت عيناها بدقة مفصّلة الرجل الطويل المفعم بالرجولة . . تأملت لحيته النابتة وذراعيه الممدودتين وقدميه الحافيتين وساقيه القويتين العاريتين .

ـ وهل فتحت للطارق . . وأنت هكذا؟

قال بلطف : «اعتقدت أنك تفضلين أن أرتدي روباً . . »

قالت بغضب : «وهل تدرك أنك أفسدت سمعتي؟»

نظر باردن إليها ثوانٍ طويلة، ثم قال ساخراً:

ـ وهل تقترحين أن أتزوجك؟

وهذا ما دفعها إلى الجنون، فالواضح أنها آخر شخص قد يفكر في الزواج بها! ومن يظن نفسه؟

صاحت: «ستكون محظوظاً جداً».

لن تتزوجه ولو طلب يدها.. وأكملت بحدة:

ـ يبدو أنك استعدت عافيتك.. فاخرج من هنا!

ـ ألن تسمحي لي بالبقاء لتناول الفطور؟

ـ افعل هذا أولاً!

رغم جنون الموقف، رغم اشتعال غضبها، ضحكت. جمد باردن، وثبّت نظرته على وجهها السعيد.. ثم تحرك عن خزانة الأدراج بضع خطوات نحو الباب.. وارتدّ فجأة، وهو يقول:

ـ اسمحي لي أن أقول لك آنسة لاوسون إنك امرأة حنون.

احمر وجهها.. فقد ضمته البارحة بدافع غريزي. وماذا كان بإمكانها أن تفعل غير ذلك لتساعده على الاسترخاء.. في هذه اللحظات، نسيت أنه رب عملها إذ قالت له آمرة:

ـ أغرب عن وجهي كوتنغهام!

ويا للدهشة! فقد خرج.

سمعته يدور في المنزل فلزمت السرير حتى سمعته يخرج من الشقة. وعندئذٍ نهضت من سريرها وتوجهت لتدخل إلى الغرفة الأخرى فوجدت أنه رتب فراشه الذي نام فيه..

حين ذهبت أيمي لتحضرها، كان مزاج العمة هانا حاضراً للثرثرة، فقد أخبرتها عن مسرحية الأمس.. وسألتها إن كانت ستنزعج إن لم تزرها يوم السبت القادم، لأنهم في المنزل سيقيمون مباراة للعب الورق. لم تر أيمي عمتها قط تهتم بلعب الورق، ولكنها شعرت بسرور عارم لأن العزيزة الحبيبة تبدو مستقرة فعلاً، وتعتبر المكان بيتاً لها.

بعد الغداء، نامت العمة هانا قليلاً. وأخذت أيمي الصحيفة لتقرأ.. لكنها لم تقرأ كثيراً.. فقد عاد باردن إلى رأسها مجدداً وسيطر على أفكارها.. لقد بدا مريضاً جداً ليلة أمس، لم يكد يقوى على الوقوف.. ولكنه هذا الصباح أصبح أفضل حالاً.. وتذكرت ما قاله عن حنانها فانزعجت.. فماذا تصوّر؟ أن تتركه وشأنه دون أن تهتم.

وجدت نفسها تبتسم، فخبأت وجهها خلف الصحيفة.. ثم تذكرت أنه سيسافر إلى أميركا ليغيب أسبوعين فخبت الضحكة عن وجهها. لا مجال للابتسام، فكيف ستتدبر أمر نفسها مدة أسبوعين كاملين دون أن تراه.

كان الأمر سيئاً يوم الجمعة، فقد مضى يومان لم تر له فيهما وجهاً. لكن أسبوعين.. لماذا لا يطلب منها أن ترافقه؟ فهو يصطحب مساعدته إلى ستراتفورد، فلماذا لا يصطحبها معه إلى أميركا؟

ذهبت إلى العمل صباح الاثنين. ووجدت باردن في مزاج مرح.. فقد سأل وهي تحمل إليه بعض الأوراق:

ـ كيف حال أيملي هذا الصباح؟

ـ جيدة جداً.. وأنت؟

تمتم: «لم ألقَ قطُ عناية أفضل».

تورّد وجه أيمي قليلاً. وعادت إلى مكتبها.

وفي الصباح التالي كان مزاجه مرحاً أيضاً.. وكان ودوداً ولطيفاً كما لم يكن قط من قبل.

كانَ رائعاً معها إلى درجة أنها لو لم تصطدم بسايمون ألسويرث في أحد الممرات لما تذكرت أن لديها موعداً معه ذلك المساء.

هذا ليس بالمساء المناسب.. فسايمون ألسويرث رجل متكبر، وقد بدا هذا على وجهه حين زارها ورأى المنطقة التي تسكن فيها.

ـ أنا مسرور لأنك جاهزة.. لا أرغب في ترك سيارتي لدقيقة واحدة بدون حراسة في هذا المكان.

ردت بسخرية: «يا لها من فكرة حكيمة».

www.elromancia.com

في هذه اللحظات، تعاظم حبها لباردن.. ألم يترك سيارته الفاخرة في الخارج ليلة كاملة كما أنه لم ينظر بازدراء إلى المكان الذي تعيش فيه؟

لأن قلبها لم يكن يرحب بهذه الدعوة، أجبرت أيمي نفسها على أن تكون رفيقة لطيفة.. قال في نهاية الأمسية: «هل ترغبين أن ترافقيني إلى منزلي؟»

ابتسمت له: «كانت أمسية رائعة.. لكن الوقت متأخر.. وعلينا كلينا أن ننهض غداً نشطين».

حاول معانقتها عندما كان يفارقها، فراعها ذلك كثيراً، ولو أنّه عانقها حقاً لضربته! لكنها دفعته عنها بلطف، وقالت بحزم: «ليلة سعيدة».

- هل سأراك مجدداً؟

- سنلتقي ثانية.. وليس ذلك ببعيد، فغداً أراك في العمل.

ودخلت.. إذا كان لديه ما يضيفه، فلن تقف وتسمعه.

كانت تفكر وهي ذاهبة إلى العمل في الصباح التالي أنها ارتكبت غلطة عندما خرجت مع سايمون السويرث.. كانت تظنه خجولاً وحساساً قليلاً، لذا وافقت على الخروج معه.. لكنها كانت مخطئة.. وتذكرت كيف حاول معانقتها ليلة أمس.. وتذكرت ردة فعلها وذعرها.. فهل أفسد عليها حبها لباردن علاقتها بسائر الرجال؟

بدأ اليوم جيداً.. وبدا أن صحة داون حسنة رغم تقدم حملها.

هكذا تركت داون العمل المكتبي الرئيسي الذي يريده الرئيس في رحلته إلى أميركا لأيمي التي لا تعرف كيف ستتحمل عدم رؤيته مدة أسبوعين.. قررت أن تعيش حاضرها لحظة بلحظة، فكان أن دخلت بحبور إلى مكتب باردن فرأته يرفع رأسه وهي تدخل، ويثبت نظرته على وجهها النشيط.. فأحست بالضعف والحزن في داخلها.

ارتدت إليه وهي تقول: «الأرقام على...».

لكنها وجدته غير مهتم بالمعلومات التي ستقولها له.

سأل بخفة: «أرجو ألا تكون حياتك العاطفية قد عانت من شيء؟».

بذلت أيمي جهداً لتفهم ما يقول، وأدركت أنه يشير إلى أدريان الذي

فتح له الباب صباح الأحد وهو يرتدي الروب.. ولا بد أن أدريان عرف أنه بقي الليل عندها.

ردت بهدوء: «لا أستطيع قول هذا».

سألها بحدة: «وهل سامحك أدريان؟»

أزعجتها نبرة صوته: «لا أدري ما رأيت في منامك.. لكن حسب ما أذكر، ليس لأدريان عندي شيء حتى يسامحني عليه!».

- وهل خرجت معه مرة أخرى منذ يوم الخميس؟

الخميس؟ تذكرت أنها قالت لباردن إنها ستقابل شخصاً حين عادا من ستراتفورد.. ولكنها لا تقدر أن تنسى أبداً ذاك اليوم الذي عانقها فيه باردن..

قالت باختصار: «أحاول أن أنسى يوم الخميس!».

وكادت تهم بضربه على رأسه حين أردف: «أتريدين نسيان ذاك اليوم أم نسياني؟».

وصل ما يقوله إلى الحد الخطر.. إلى الخط الأحمر.

- ليس عليك أن تأمل كثيراً لأنني خرجت مع سايمون ليلة أمس.

أوه.. يا الله! لم يكن سعيداً بهذا.. لأنه حملق إليها وكأنه يعترض على قولها له بأن لا يأمل كثيراً.. وعرفت كذلك أن باردن لا يأمل بشيء منها. ولكن، ما كان يجب أن تفعل؟ أن تجلس هناك بخنوع دون أن تقول شيئاً! الخنوع للأسف ليس من طبيعتها.. كما أنه هو من بدأ هذا النقاش الشخصي لا هي.. ولكن من الواضح أنه سئم الموضوع برمته.

أمرها قائلاً: «دعيني أرى الأوراق التي أنجزتها؟»

وأحبت أن ترميها على عينه!

انتهى يوم الأربعاء سيئاً.. فقد بقي مخدومها متكدراً طوال اليوم.. ولم يبهجه شيء حتى اتصال صديقته كارلا به.. أما أيمي، فعادت إلى المنزل وهي ترى أنها لن تأبه حتى لو سافر إلى أمريكا بدون رجعة. لكن هذا الإحساس لم يدم طويلاً.. تلك الليلة، اتصلت بها العمة هانا ومرة أخرى أثبتت استقلالها

واستقرارها في محيطها الجديد . . وطلبت السماح من أيمي لأنها لن تأتي إلى الغداء يوم الأحد .

سألتها أيمي: «وهل ستذهبين إلى مكان لطيف؟» .

ـ سنقيم اجتماعاً للسكان لمناقشة ما نستطيع أن نفعل للحملة الخيرية، فالجميع يقدمون لنا أشياء كثيرة وفكرنا أن نرد شيئاً من الجميل . .

قالت أيمي: «دعيني أعرف إذا كان بالإمكان أن أساعد» .

وابتسمت حين قالت العمة إنها ستفعل .

في اليوم التالي، شعرت أيمي بالسعادة والسبب أن باردن عاد إلى مرحه السابق . . وبينما كانت داون معه في مكتبه، اتصلت ليزا براون لتقول إن السيدة وايتفورد غادرت دون القول إلى أين، وهي غائبة منذ فترة. كانت أيمي تضع السماعة من يدها حين انفتح الباب المشترك، وظهر باردن الذي تراجع قليلاً، ليسمح لداون بالخروج . . ثم دخل المكتب .

اتجهت نظرته إلى أيمي . . وسأل بهدوء: «هل من مشكلة؟» .

ـ العمة هانا . . إنها . .

ـ اختفت؟ . . هل لديك سيارتك؟

ـ أجل .

قال بلطف: «هيا اذهبي إذن» .

أحست فجأة بالألم: «أنا آسفة» .

ـ لا تعتذري . . سنبقى هنا حتى الثامنة هذه الليلة .

وابتسم لها، فوجدت ابتسامة ترد بها عليه . داون، التي أصبحت تعرف كل شيء عن العمة هانا، ابتسمت لها بحرارة . .

وجدت قريبتها بالتبني في شقتها وقد دخلتها بالمفتاح الذي معها . . وقالت العمة التي نسيت أن لدى أيمي عملاً:

ـ فكرت لأنني لن أراك في نهاية الأسبوع، أن آتي لرؤيتك اليوم . . هل كنت تسوقين؟

صنعت القهوة وتحدثت مع عمتها قليلاً . أخيراً أوصلتها إلى «كسويك

هاوس»، وعادت إلى عملها حيث وجدت أن داون قد غادرته بسبب موعد طبي . ووجدت باردن مشغولاً، فهذا هو آخر يوم له في المكتب قبل أن يسافر يوم الاثنين .

لكنه سأل عما إذا كان كل شيء على ما يرام . وسرّ أيمي أن تبلغه أنها وجدت العمة في شقتها .

أضافت: «هذا دليل حسن . . فمن الجيد أنها أصبحت تتذكر الآن أين أعيش» .

عادت إلى مكتبها حيث انشغلت بعملها . . وكانت منشغلة في التعويض عن تأخرها حين دخل باردن إلى المكتب . رفعت رأسها متوقعة تعليمات من نوع ما لكنها ذهلت حين عرفت أن باردن لم يدخل إليها ليحدثها عن العمل .

ـ لقد أعجبت كثيراً ببعض الدراجات النارية المعروفة التي شاهدتها يوم السبت الماضي .

ـ أتعني ذلك اليوم الذي اضطررت فيه إلى اصطحاب العمة هانا إلى المتحف؟

تمتم بفتنة: «أنا لا أعتبر الأمر هكذا بالضبط . . لكنني أتساءل، عما إذا كانت السيدة وايتفورد ترغب في مرافقتي» .

ـ أتريد أن تصطحب العمة هانا إلى برمنغهام . . إلى . .

وفغرت فاها، فأضاف:

ـ سنأخذك معنا، إذا وعدت أن تكوني عاقلة .

وتهلل قلبها، وحلقت روحها المعنوية . فإذا رأته غداً فسيكون وقت الفراق خمسة عشر يوماً فقط .

ثم عادت معنوياتها إلى الحضيض . . هذا غير عادل . . إنها تحبه . . وهذا غير عادل . ابتسمت لأنها أمام خيارين فإما البكاء وإمّا الابتسام .

ـ عادة، كان يمكن للعمة أن تحب هذا . . لكنني لن أراها هذا السبت . . وهذا جزء من السبب الذي أتت لتراني من أجله . . ونسيت أن لدي عملاً . . أنا آسفة . . أقدر لك لطفك كثيراً . لكن لدى العمة خططاً أخرى ليومي

www.elromancia.com

السبت والأحد . . ولن أراها أبداً في نهاية هذا الأسبوع .

قال : «كانت مجرد فكرة» .

وعاد إلى مكتبه ، أما أيمي فشعرت برغبة كبيرة في البكاء مع أنها تظاهرت بأنها سعيدة . أما الواقع فعكس ذلك كلياً . . لذا عندما اتصلت كارلا نيسبيت ، أحست بغصة كبيرة . لكنها أوصلتها به وهي تعرف أن متحف الدراجات سيكون بعيداً كل البعد عن تفكيره غداً .

غادرت داون المكتب في الخامسة ، لكن أيمي بقيت تعمل مع باردن إلى ما بعد السابعة ، إلى أن أدخلت آخر الأوراق بين يديها إليه ، واستعدت للعودة إلى المنزل . . وقالت تؤكد :

ـ هذا كل شيء . . أتمنى لك رحلة موفقة .

لن يعرف إلى أي درجة قلبها مثقل بالألم .

وقف باردن على قدميه وقال بوقار : «انتبهي إلى نفسك أيمي لاوسون» .

ابتسمت : «وأنت أيضاً» .

وارتدت بسرعة لئلا تتلاشى الابتسامة ، وعادت إلى المنزل .

كانت أيمي قد رأت أدريان عدة مرات في الأسبوع لوقت قصير ، وكانت ممتنة لأنه لم يسألها عن الرجل الذي رآه في منزلها مرتدياً الروب . . وصباح السبت ، نزل لتناول القهوة معها . .

يوم الأحد نهضت من السرير مصمّمة أن تشغل نفسها . . لكن شقتها نظيفة . وما وجدته من عمل ، سرعان ما انتهى . أحست بتململ لا يطاق ، فخرجت تتمشى ولكن باردن لم يبارح فكرها . . وجدت أن لا جدوى أن تقنع نفسها أن لا خير يرجى من حبها لباردن . فهي تعرف هذا ، لكن هذا لم يجعل مشاعرها تنساه .

عادت إلى شقتها وهي تفكر في أن حبها له حب ميؤوس منه . . هناك في الشقة طهت وجبة طعام ، لم تتمكن من أكلها . هذا أمر سخيف . . يا لزير النساء السافل ، تراهن أنه لم يفقد شهيته قط بل هو الآن دون شك يتبادل الغداء مع كارلا نيسبيت ربما . . ولكن هذه الفكرة جعلتها تشعر بالسقم .

كان الوقت متأخراً والساعة تشير إلى ما بعد السادسة بقليل ، حين رن جرس الهاتف . فكادت تقفز من مكانها مجفلة ، وتقدمت لترد : «آلو؟» .

وكادت تقفز مجدداً لأنها سمعت صوت باردن .

سأل : «أرجو ألا تكوني مع أحد؟» .

مثل من؟ لكن الكبرياء منعتها . . وماذا عنه؟ هل كارلا معه؟ أوه . . ابتعدي عني أيتها الغيرة!

سألت : «لماذا؟»

ـ كنت أتساءل عما إذا كان بإمكانك المجيء لتسجلي لي بعض المذكرات .

مذكرات! لقد أنجزت له كل العمل المطلوب يوم الجمعة! ربما أمضى فترة بعد الظهر في مكتبته و . . . وبرزت الشمس فجأة . . شهيته الوحيدة كانت للعمل فقط .

ـ ألا يمكن أن أتلقاها عبر الهاتف؟

وسرعان ما ندمت ، ولكم رغبت لو تسحب الكلمات . . ستموتين إن قال نعم . . وستخسرين هذه الفرصة النادرة لتريه مجدداً قبل أن يسافر .

قال بتملق : «سأقدم لك العشاء» .

كم أحبت نبرة صوته المتملقة اللطيفة .

لم تستطع إبعاد الابتسامة عن صوتها : «وهل ستطهو العشاء بنفسك؟» .

ـ بل ستطهوه مديرة المنزل .

عرفت أن منزله يدعى «هازلدن» وأنه يبعد ساعة .

ـ من الأفضل أن تعطيني التوجيهات حتى أصل .

ولم تتأخر كثيراً . . فبعدما استحمت بشكل سريع ، تبرجت قليلاً قبل أن تلقي نظرة على خزانة ثيابها . واختارت فستان أحمر مصنوع من الصوف الناعم ، كانت تعرف أنه يناسبها فله كمان قصيران ، وياقة مستديرة وهو بسيط كلياً . . تأملت صورتها في المرآة قبل أن تضع معطفها . . كان شعرها الأسود كالليل يلمع ، وفي عينيها إثارة . . وهذا ما يجب أن تحذر منه . . فلم تعد تطيق الانتظار . . حسناً . . هذا عمل . . لكن باردن ينتظر رؤيتها .

كان قلبها يتسابق وهي تتبع تعليماته، وتوجيهاته. . وبدا أنه يتسارع أكثر حين ولجت سيارتها إلى الطريق الداخلية المؤدية إلى «هايزلدن». تركت سيارتها وقطعت الأرض المرصوفة بالحصى قاصدة الباب الأمامي الضخم ورنت الجرس. . ولم تنتظر كثيراً، إذ سرعان ما رأت الباب ينفتح وكانت تتوقع أن تكون مدبرة المنزل من ستفتح الباب، لكن وقبل أن تستعد، رأته هو واقفاً أمامها. أخفضت عينيها بسرعة. . آه كم تحبه!

ـ مرحباً. وهل مدبرة منزلك مشغولة في المطبخ؟

ـ العشاء جاهز. . إنما أعطيت السيدة تريڤور فرصة لبقية الأمسية.

هل وجد سؤالها غبياً يا ترى؟ هذا ما لن تعرفه.

ـ ادخلي أيمي. . كنتُ بدأت أظن أن توجيهاتي كانت خاطئة.

عبرت أيمي الباب إلى ردهة واسعة سميكة السجاد، وتلاعبت ابتسامة على فمها حين عرفت أن باردن كان يتوقع وصولها قبل الآن، وهي التي اعتقدت أنها أبكرت. قادها في الردهة ليفتح باباً يكشف عن غرفة ملابس:

ـ دعيني آخذ معطفك.

خلعت أيمي المعطف عن كتفيها وأخذه منها ليعلقه. . ثم ارتدَّ إليها ونظر إلى فستانها الأحمر، وقال معلقاً:

ـ لم ترتدي هذا الفستان في المكتب من قبل.

لم تنوي إثارة حفيظته. . لكن الكلمات خرجت منها:

ـ وهل كنت ستذكر؟ أعني. . أنا لا أذكر كل بذلة ارتديتها.

ـ لكنني لا أستحق الملاحظة، أما أنت. .

وابتسم ابتسامة مغرية فذاب قلبها. . فهو يعتقد أنها جديرة بالملاحظة!

ـ على ذكر الملاحظات. . لقد نسيت دفتر ملاحظاتي.

ـ ليست مشكلة لا حل لها. . توقعت هذا.

ابتسم ابتسامة فتنتها أيّما افتتان. . ثم لمس مرفقها بخفة واقتادها إلى غرفة صغيرة فيها أريكة ضخمة سميكة المفارش عميقة الوسائد ومقعد وطاولتين، إحداهما قريبة من الأريكة التي وجدت عليها أوراقاً.

قال لها: «فكرت أن هذا المكان أنسب ليوم الأحد في المكتب».

وهذا ما جعل الأمر يبدو شخصياً لا عملياً، وأحست أيمي بالسرور، وأجابت بقبول: «كما تريد».

ـ حسب قول السيدة تريڤور. . يجب أن أحضر كل ما هو منزلي، في نصف ساعة.

سمعت نفسها تسأل ممازحة: «وهل سجلت لك التعليمات كتابة؟».

آه. . يا إلهي. . تمالكي نفسك!

التوى فم باردن: «لأجل هذا الكلام، ستكون حصتك الجزء المحروق من الطعام».

وأجبته. . ثم قال:

ـ سنجلس هناك وسأعطيك الخطوط العريضة قبل أن نأكل. ولك أن تطرحي عليّ السؤال خلال الطعام.

ـ عظيم.

«هناك» كانت الأريكة الضخمة. . وتقدمت نحوها وحاولت أن تهدئ قلبها عن ضجيجه خاصة بعدما تناول باردن الأوراق وجلس إلى جانبها.

وبدأ: «هذه لائحة بـ. . .»

أدركت أيمي لماذا اقترب منها أكثر، فقد مد الورقة التي في يده لها لتقرأها معه. واقتربت منه أكثر. رفعت يدها إلى الورقة لتستطيع رؤيتها بشكل أفضل. ولكن لسوء الحظ لامست أصابعها أصابعه فسرى شيء ما إلى أوصالها وهذا الشعور دفعها للتراجع ولكنها اصطدمت به.

قال متهماً إياها بلهجة هادئة: «أنت متوترة».

كان على مقربة شديدة منها. وحاولت أن تنكر: «لا. . لست هكذا».

لكن رغم محاولتها البقاء في إطار العمل، جاء صوتها أجش، ينبىء أنها بعيدة كل البعد عن الاسترخاء. لانت تعابير وجه باردن. . ومرر مؤخرة يده بحنان على جانب وجهها وقال بلطف:

ـ أنا آسف أيمي، ربما لم يكن العمل هنا فكرة صائبة على أي حال.

سألت: «هل تتعمد إحراجي؟»

يا الله . . وكأنه يقول إنه يؤثر فيها.

قال بلطف: يا لشفافية روحك! أنا بالتأكيد لا أحاول إحراجك ولو أنني يجب أن أقول أنني . .

وبدا كأنه ينطق كلماته بحذر: «بيني وبينك «كيمياء» أفضل إبقاءها تحت السيطرة».

وأحست بالاحمرار حتى أذنيها . . قالت بوقاحة:

ـ تكلم عن نفسك سيد كوتنغهام . . في الماضي عانقتني ولا أذكر أنني استجبت لك بأية طريقة!

واستعدت للعودة إلى منزلها، ولتذهب المذكرات إلى الجحيم! لكن، ما لم تكن مستعدة له، أن ينظر باردن إليها مذهولاً قليلاً، ثم ضحك:

ـ السيد المهذب قد يترك كلامك يمر . . لكن . .

أنهت عنه كلامه: . . «لكنك لست بالسيد المهذب».

تذكرت كيف عانقها يوم الخميس وكيف وضع ذراعيه حولها وأراد المزيد.

ـ وهل كنت تفضلين أن أكذب . . وأدعك تكذبين؟

ـ أنا لا أفضل شيئاً . . سأعود إلى منزلي!

وكرهته . . وكرهت الأريكة العميقة الوسائد لأنها وهي تحاول الكفاح للخروج من عمقها، بدت مصممة على الاحتفاظ بها . وهي بحاجة إلى شيء يرفعها، ضغطت يداً على جانب الأريكة والأخرى بطريقة ما عليه . . على ساقه المفتولة العضلات ولكنها سارعت تنزعها وكأنها احترقت، ومد لها يده ليمسك بها . . وبطريقة ما انتهى الأمر بأن أصبحا أكثر قرباً.

قال برقة: «لا تدعينا نفترق ونحن متخاصمان!».

وأحست بعظامها تذوب مجدداً. تمتمت بعجز: «باردن . . ».

لم يكن يسيطر على تفكيرها في تلك اللحظات سوى الأسبوعين اللذين سيغيب فيهما عنها . . أسبوعان كاملان بائسان سيمران بها مرور السلحفاة،

ولم ترغب في الافتراق عنه كصديقين متخاصمين.

مازحها برقة: «هل نتعانق عناق مصالحة».

وكان هذا أفضل اقتراح سمعته: «شرط ألا تتهمني بالمغالاة في الاستجابة».

وضحكت . . ثم استجابت لأول لمسة منه.

إنه مسافر مدة أسبوعين تظن أنهما لن ينتهيا بسهولة . وهذا كل ما كانت تفكر فيه وهو يضمها بين ذراعيه.

قال وفمه على أذنها: «سأشتاق إليك وأنا مسافر».

وكان هذا ألطف كلام سمعته يوماً . أرادت أن تقول له إنها ستشتاق إليه كذلك، لكنها كانت مخجولة، ثم مرت الفرصة، ولم تستطع الكلام.

لفظت اسمه بأنفاس مقطوعة: «باردن».

تمتم يرد: «أيمي».

ولا شيء غير هذا . . لا شيء بحاجة ليقال في هذا الوقت الذي تتبادل فيه عيونهما النظرات . .

ضمها إليه أكثر، فتعلقت به وتضاعفت حرارتها وتحرّكت مشاعرها . .

وباتت لا تعي إلا وجوده . . ثم أحست بذراعيه تسحقانها.

ـ أنت جميلة أيمي . . جميلة جداً.

وابتسمت له، ابتسامة حب صادقة. وهمست: «باردن . . !».

ـ هل يعني هذا «توقف»؟

ذابت خجلاً أكثر: «أعتقد . . أنني لست . . معتادة أن يعانقني رجل بهذا الحب والشغف».

ـ أعرف.

تنهدت مجدداً: «باردن!»

ـ دعيني أتطلع إليك.

لا بد أنه يعرف أنها لم تعاشر قط رجلاً . كادت تقول له إنها تحبه . لكنها ابتلعت كلامها . وقالت: «أوه».

www.elromancia.com

وأحبته أكثر لأنه لم يسأل عن معنى تأوهها هذا. لكنه نظر إليها: «أيمي حلوتي. .».

غرّد قلبها لسماعها هذه الكلمات، وأحست بدفء صدره. . يا إلهي! ما هذا الشعور الجارف. . إنها تحبه أكثر من أي شيء. .

من مكان بعيد. . بعيد جداً. . سمعت جرس الهاتف يرن. . لكن لا شأن لهذا بها أو ببياردن. . وظل الجرس يرن. قال باردن آمراً: «تجاهليه».

أرادت أن تطيعه فدست نفسها فيه أكثر، وشدها إليه. . لكن الهاتف، القريب منهما، كان شيئاً غير مرغوب فيه في هذا العالم الجديد الساحر. مدت أيمي يدها إلى الآلة المزعجة ولم تدر ما إذا رفعتها لإسكات رنينه أو هي العادة. . وكان عليها أن تعترف أن تفكيرها كان في مكان آخر تماماً حين رفعت السماعة إلى أذنها.

لكنها لم تكمل حركتها. . فعبر الهواء، عبر الخط، سمعت صوت رجل يأمر بصوت ممازح:

ـ توقف عن إغواء سكرتيرتكَ باردن. . وكلمني!

وسرعان ما جرفتها أمواج صادمة. وكأن شخصاً رمى عليها دلو ماء بارد. . فعادت مصدومة إلى وعيها. . هذا عدا الحقيقة المرعبة. . لا بد أن باردن كان في مثل هذا الموقف أكثر من مرة من قبل! باردن، كما يعرف المتكلم بكل تأكيد، ليس غريباً عن أريكة الإغراء هذه! باردن. . باردن أيها الفاسق. . خطط لهذا الإغواء. . إغوائها هي!

شعرت بالذعر والسقم لأنه شخص خائن. . فرمت السماعة وسارعت تبتعد عن الأريكة.

نظر إليها دهشاً وقال: «ماذا. . .؟».

لكنها لم تكن مستعدة لسماع أية كلمة أخرى قد يقولها.

***

٧ ـ قرارات قاهرة

لو كان لأيمي الخيار، لخرجت من بيت باردن بدون أن تقول كلمة أخرى له. لكن، كان أمامها مسألة أخذ المعطف من غرفة الملابس أولاً، ثم سمعته يقول:

ـ سأقفل الخط.

ولكنه رغم ذلك نهض عن الأريكة يحاول الإمساك بذراعها.

صاحت بذعر: «لا تلمسني!».

آخر ما تريده هو أن يقترب منها. أحاسيسها المشوشة ما زالت تهدّد بجعلها أضحوكة مرة أخرى.

أطاعها ويا للدهشة! وما إن أصبحت جاهزة لفتح الباب حتى سارع يمنعها. حاول إيقافها عند الباب: «لا تذهبي!».

قالت ببرود: «هل تسمح بالابتعاد عن طريقي؟».

يجب أن تذهب فهي لا تكاد تستطيع التفكير، والتفكير هو ما هي بأمس الحاجة إليه.

قال: «لست في حالة تسمح لك بقيادة السيارة».

ورفض السماح لها بفتح الباب: «ابقي». .

قالت من بين أنفاسها: «والله لن أبقى».

فتحت الباب بقوة لم تعرف أنها تمتلكها وخرجت من غرفة الملابس.

فتحت غرفة الملابس. . وكانت تمد يدها لتأخذ معطفها حين أوقفتها يد

باردن على معصمها.

قال بلطف مهدئاً: «لقد أخفتك.. وأنا آسف.. لكنني لن..»

انتزعت معصمها منه، وصرخت: «أنت على صواب فأنت لن تفعل شيئاً! لأنني لن أسمح لك بذلك».

حملت معطفها وهرعت إلى الباب الخارجي تفتحه بقوة ففوجئت بشقراء مثيرة كانت تهم بقرع الجرس. قال باردن بدهشة: «كارلا!»

ولم تنتظر أيمي لسماع المزيد، مرت بكارلا نيسبيت بصمت كلي.. إنها تكرهها، تكرهه.. آه! ماذا تفعل؟ فهي لا تريد إلا الوصول إلى سيارتها قبل أن تنهار. جلست في سيارتها وشغّلت المحرك.. في هذه اللحظات أدركت أنّ لديها مخزوناً من القوة لم تعرف بوجوده.. فهي حتى الآن لم تبك. فجأة ضرب شخص على نافذة السائق.

رفعت رأسها فرأت باردن مرتدياً فقط قميصه وسط هذا البرد القارص وهو يطالبها بأن تفتح النافذة. فتحتها قليلاً لتستطيع سماعها فقط:

ـ اصنع معي معروفاً.. والتقط التهاب الرئة!

ثم داست على دواسة الوقود.

رأته في المرآة الأمامية، يقف هناك. وفي المرة التالية التي نظرت فيها إليه وجدته قد اختفى.. ولكن بعد خمس دقائق رأت سيارة تلحق بها. فاضطرت لإبطاء سرعتها أمام أضواء المرور.. وكانت السيارة سيارة باردن.. من الواضح أن الليل البارد لم يبرد حماسته!

انطلقت أيمي من أمام أنوار المرور، وقادت بسرعة مخيفة.. بعد خمسة أميال من السرعة المفرطة، لم تعد ترى سيارة تلاحقها.

ولم يظهر باردن خلفها حتى بعدما قادت بحذر.. فلا شك أنه عاد إلى كارلا المنتظرة.. وتصارعت الأفكار في رأسها عن كيفية تحضير باردن للمشهد.. لقد كان كل شيء مدروساً حتى بالنسبة للمدبرة التي منحها الليلة بالذات عطلة.. ولا بد أن كارلا احتلت الآن محلّها على تلك الأريكة.

عندما وصلت شقتها، كانت مقتنعة بأن باردن كوتنغهام «يهتمّ» الآن

برحيله إلى أميركا غداً مع شخص آخر.. كارلا. دخلت أيمي إلى شقتها في الوقت الذي رن فيه جرس الهاتف.. هل هذا هو؟ هل ممكن؟ لا تكوني حمقاء.. إنه مشغول الآن مع كارلا.. أوه ما أشدّ كرهها له!

سترد على رنين الهاتف.. لكنها لن تكلمه، لو كان هو المتكلم.. ورفعت السماعة ولكنها لم تقل كلمة ولم يقل المتصل أيضاً كلمة.. وهذا ما أكد لها أنها ليست العمة هانا التي لا تبقى صامتة..

تعاظم الصمت وطال.. لكنها قطعته أخيراً إذ صاحت:

ـ اختنق بعشائك!

عرفت أن المتصل لم يكن عمتها هانا.. فذهبت تعد نفسها للنوم ولكم كانت مسرورة بهذا الكره الذي يعتمل في نفسها تجاه باردن، لكنها اكتشفت أن من غير المجدي النوم.. فعقلها كثير الانشغال بحيث يمنعها من النوم.

يا لذاك الجرذ الكريه الذي يفضّل، بحسب قوله، إبقاء تلك «الكيمياء» بينهما تحت السيطرة! فكل ما كان يفعله هو هدهدتها لتشعر بأمان كاذب.. إنها ترى هذا الآن. لا عجب إذن أن يمنح مدبرة منزله عطلة.. إذ لن يرغب أن تقتحم السيدة تريفور تلك.. ماذا قال عنها؟ الغرفة الصغيرة الملائمة ليوم الأحد أكثر..

هذا ما أعاد تفكيرها مباشرة إلى كارلا نيسبيت المذهلة الجمال.. آه! ليتها لم تشاهدها قط.. فيكفيها أن تعرف بوجودها.. لكن أن تراها بعينيها.. أن ترى أناقة كارلا ومستواها الرفيع.. آه! إنه آخر ما كانت بحاجة إليه.. أما ماذا كانت تفعل وهي ترن جرس «هايزلدن»، فهذا أمر لم ترغب أيمي في التفكير فيه.. لكنها لم تستطع منع نفسها.. هل اعتقد باردن أن «أخذها للمذكرات» لن يدوم طويلاً؟ هل دبر أمر زيارة كارلا في ما بعد؟ لكنها تذكرت رغم لهيب الغيرة الذي يسري في نفسها، أنه ذكر العشاء. إذن، أين هو موقع كارلا في كل هذا؟ أهي للتحلية؟

قاومت أيمي لإخراج باردن كوتنغهام وكارلا نيسبيت من رأسها. واضطرت أخيراً للاعتراف بأن باردن لم يكن يتوقع كارلا.. وبحسب ما

تذكر، تبين لها أن باردن لم يكن يفكر في كارلا حتى. . إذن لا بد أن الشقراء على صداقة معه تخولها زيارته حتى من دون موعد. وتذكرت أيمي، كيف قال باستغراب «كارلا!» حين شاهدها.

بعد ليلة مثيرة للشفقة قضتها وباردن وكارلا لا يبرحان تفكيرها، نهضت أيمي كالعادة في الصباح التالي. . لم تشعر برغبة في الذهاب إلى العمل. . مع ذلك استعدت. وكانت تهمّ بمغادرة الشقة حين رن جرس الهاتف. . علمت أنه لن يكون باردن. . فهو الآن في الطريق إلى المطار.

رفعت السماعة: «آلو؟»

كادت السماعة أن تقع من يدها لسماعها صوته:

ـ أملت أن أجدك في البيت قبل ذهابك إلى المكتب.

جاء صوته بارداً، متسلطاً، كعادته. لقد قضت ليلة رهيبة، أما هو فالظاهر أنه نام ملء جفونه.

هذا غير عادل! وسارعت كرامتها لنجدتها. ترفض التراجع بينما المنطق ينصحها باتخاذ الحذر.

قالت بترفع: «لست ذاهبة إلى المكتب. .».

ـ لست ذاهبة؟

آه. . يا الله! في صوته حدة. لكنها رفضت التراجع. . وأعلنت بكبرياء:

ـ لا، سأترك العمل.

لكنها عرفت أنها لا تستطيع أن تترك عملاً راتبه جيد.

أغضبته كما أدركت. . إمّا بكلامها وإما بالطريقة المترفعة التي أجابت فيها. . لكن قبل أن تستطيع أن تؤكد ما قالته. . قال بصوت غاضب:

ـ تصحيح آنسة لاوسون. . لقد تركت العمل!

استجمعت شتات نفسها:

ـ تركت؟ كيف؟ وهل تطردني من العمل؟ على أي أساس؟

وتهاوت على المقعد القابع وراءها. .

لكنه أسكتها بحدة: «ماذا عن المعلومات الخاطئة في مقابلة العمل؟».

ـ أنت قذر! قذر. .

ـ أعرف أنك كنت تكذبين حين أخبرتني أنه ليس لديك التزام. . لكنني عرفت بنفسي عدم التزامك بأوقات الدوام.

صاحت بغضب أهوج: «لكنني تأخرت مرة واحدة فقط!».

تابع وكأنه لم يسمعها: «هذا دون ذكر الغياب».

قالت بغضب: «لكنني كنت أعوض دائماً عن غيابي!».

عادت كبرياؤها للنهوض، خاصة حينما قال متهكماً:

ـ كان أي شخص سيعتقد أنك لن ترغبي في ترك العمل، بعد كل شيء. . أيمي.

هذا كثير حقاً، وصاحت:

ـ احتفظ بوظيفتك كوتنغهام. . فلن أعمل عندك ولو ضاعفت راتبي ثلاثة أضعاف بالألماس.

وكان مستحيلاً معرفة من منهما أنهى المكالمة أولاً.

في الدقائق الخمس التي تلت الاتصال، أخذت أيمي تتفوه بكلام غاضب عن مخدومها السابق. . ثم بدأ الواقع يبرز. . آه! الكبرياء. . تلك الكبرياء اللعينة. . إنها بحاجة لهذا العمل. . آه. . كم جعلها الحب والكبرياء غبية.

مع ذلك، أحست بالسرور لأنها تصرفت هكذا. . بعدما أعادت ذكرى حديثها معه، وهذا ما فعلته عدة مرات في الساعة الأخيرة، أدركت أيمي، أنه اتصل ليطلب منها فقط ألا تذهب إلى المكتب أبداً.

وأحست بالسرور، السرور، السرور، لأنها قالت له أولاً إنها ستترك عملها. بعد قليل. فكرت في الاتصال بداون للاعتذار منها لأنها تركت العمل بشكل مفاجىء ولكنها تظن أن السيد الكفؤ اتصل بها. . إما قبل أو بعد اتصالهما، ليبلغها الخبر. . على أي حال، قد تطرح داون أسئلة مربكة. مثلاً، لماذا ستترك إن لم يقل لها باردن إنه طردها؟ ولا يمكنها أن تقول لداون إنه كان يغويها حين عادت إلى رشدها.

www.elromancia.com

بدلاً من الاتصال بداون، اتصلت بوكالة توظيف تؤمن أعمالاً مؤقتة. بعد الاتصال، ذهبت لإجراء مقابلة عمل، ووجدت عملاً يشغلها حتى نهاية الأسبوع. واتصلت بليزا براون لتقول لها أين يمكن أن تجدها.. ووجدت العمل المؤقت غير معقد، وليس فيه أي تحدي.. وعندما كانت عائدة إلى البيت، اشترت صحيفة لتقرأ فيها الإعلانات المبوبة.

لم يكن هناك أي وظيفة تشبه من بعيد العمل الذي صرفت منه.. وصممت ألا تصاب بالاحباط. ودعت أدريان إلى العشاء في الليلة القادمة. وخلال الاتصال، عرفت أنه التقى بصديقته القديمة وأنه حصل على رقم هاتفها وكان قلبه مفعماً بالأمل.

تمنت أيمي له الخير. كان من المشجع قليلاً أن تسمع أن حياة شخص آخر العاطفية ستأخذ مساراً مفروشاً بالورد.. لأن حياتها أشبه بصخرة تهوي وتهوي..

كانت عازمة على النظر إلى الجانب المشرق من حياتها، فكان إن اتصلت بالعمة هانا مساء الأربعاء، بعد وجبة المساء وأخذ تمازحها:

ـ ليتك لم تخططي للقيام بشيء هذا الأسبوع.

ـ سأزورك بعد ظهر السبت.. لدينا اجتماع هنا صباح السبت. فإقناع الجميع هنا بأي شيء أمر مستحيل. إنهم أسوأ من تلاميذ المدرسة.

بدت العمة هانا رغم تذمرها، مسرورة لأنها اختيرت كي تكون جزءاً من جمعية الساكنين التي تشكلت مؤخراً.

ابتعدت أيمي عن الهاتف وقد قررت أن تكون هي مثلها متفائلة.. بعد هذا القرار، وضعت ثلاث دوائر حول ثلاث وظائف شاغرة في صحيفة المساء.. ثم أخذت أدوات كتابتها.

ورن جرس الهاتف. لم تتوقع اتصالاً من أحد.. لكن قد تكون المتصلة هي العمة هانا التي من عادتها أن تتصل مجدداً لتقول شيئاً نسيته.

ردت أيمي على المخابرة بصوت ملؤه الدفء واللطف: «آلو؟».

لكن الدفء واللطف سرعان ما أصبحا صدمة وذهولاً، ذلك أنها عرفت

أن المكالمة خارجية.

حياها باردن: «مرحباً أيمي».

شعرت أن صوته يميل إلى البرود، لكنها لم تستعد توازنها بالشكل الكافي.. على أي حال، لم يعد يهمها شيء. أضاف:

ـ خطر ببالي أننا تحدثنا بشكل متهور خلال اتصالي الأخير.

خفق قلبها.. ماذا يقول؟ حاولت بيأس مقاومة هذا الحب الذي يضعفها. ووجدت شيئاً من العناد في مكان ما:

ـ قد تكون أنت هكذا لا أنا!

هل يقول إنه لم يصرفها من العمل؟ وراحت تفكّر.. إنها تريد العمل عنده.. تريد.. لكن..

قال بصوت فظ: «هيا أيمي.. تعرفين أنك بحاجة إلى العمل».

صدمها قوله، إنه يشفق عليها!

كيف يجرؤ؟ هو يعرف مدى سوء وضعها المالي.. ولكن كيف يجرؤ.. كيف يجرؤ على الشفقة عليها؟ إنها تريد حبه.. لا شفقته.

عاد الغضب يثور مجدداً، وصاحت: «أنا أعمل الآن!»

ـ أين؟

لم يتأخر في إظهار عدوانيته.. أليس كذلك؟

ـ لا شأن لك أنت! ولا تخف فلن أطلب منك إفادة عمل.

خافت أن يزلّ لسانها أو أن تكشف عن شيء من ألمها.. فسارعت إلى إقفال الخط.

لم يرن جرس الهاتف مجدداً تلك الليلة. وكان أن أمضت أمسيتها دون التفكير في طلبات العمل التي كانت تعمل عليها. كان المنطق.. المنطق الصارخ، يصدمها طوال الوقت.. ويذكرها، وكأنها بحاجة لمن يذكرها.. أنها لا تستطيع تحمل رفض الفرصة للعودة إلى وظيفة أجرها مرتفع.

لكنها تجاهلت المنطق ورفضت الفرصة بسبب عواطفها التي خرجت عن طوعها.. ليته لم يتصل.. واعترفت أن ذلك الحب قد حولها إلى كتلة

www.elromancia.com

متناقضات، فهي تتوق لسماع صوته. لكنها في الوقت ذاته لن تستطيع تحمل شفقته.. ولن تقبل شفقته أبداً..

التافه اللعين أشعل نارها يوم الأحد الماضي.. إياك أن تنسي هذا الأمر أيمي لاوسون. بحق الله.. هل هي ساذجة بحيث لا ترى أبعد من طرف أنفها؟ الإغواء هو اسم اللعبة.. وليس اللطف.

حسناً.. إنسي الأمر، لن يقبل «لا» كرد.. لن تكون واحدة من نسائه ولن تعود إلى العمل عنده أبداً ولن تقبل أن يكون لها معه علاقة غرامية.. علاقة لن يكون الناتج الأخير عنها فقط فقدان عمل جيد.. وسيبقى لأمان العمة هانا، كما كان دائماً، الأولوية.

تنهدت أيمي.. ربما فهمت خطأ.. وهو لا يريد علاقة بينهما.. لكن، ماذا تعرف؟ ما تعرفه فقط أنها تحبه كثيراً.. أوت إلى فراشها ورأسها يضج ألماً.

حلت نهاية الأسبوع بطيئة، ثقيلة. فصباح السبت، وبعد القيام بعدة أعمال منزلية، خرجت لتتبضع. ستذهب لتحضر العمة هانا بعد الظهر.. والعمّة هانا تفضل الكايك الذي يباع في المحلات على ذلك الذي كانت تصنعه بيدها، لذا كانت أيمي محملة بالأغراض وهي تعود إلى المنزل.

كانت على وشك صعود الدرج إلى المنزل حين خرج أدريان الذي كان سعيداً أي سعادة.

ابتسم ابتسامة عريضة: «رأيتك من النافذة».

قالت ممازحة: «وهل نجحت في كل امتحاناتك؟».

ابتسم مجدداً بفرح: «بل أفضل من هذا.. لقد اتصلت بتينا لتوي.. ووافقت على الخروج معي الليلة».

كانا يقفان عند أسفل الدرج.. وأحست أيمي بالسرور الفريد، ولولا الحمولة التي تحملها يداها لعانقته.. لكنها اكتفت بالابتسام له، واكتشفت أنه مسرور سروراً لا يستطيع معه احتواء نفسه، لذا انحنى إليها، يلثم خدها. لم يسبق له أن فعل شيئاً كهذا ولكنها لم تشعر بالغضب منه.. أما هو فبدا مجفلاً

لتصرفه.. وكان لا يزال في قمة سعادته حين قال:

ـ أترغبين في فنجان قهوة؟

ـ من الأفضل أن أحضرها بنفسي.. لأنني أخشى أن تحرق نفسك بسبب هذه السعادة الكبيرة.

ساعدها أدريان في حمل الأغراض إلى الداخل، لكنه لم يستطع أن يتكلم إلا عن تينا وعن حظه الرابح. وأخذ يخبر أيمي بآماله للمستقبل، وكيف أنه سيحرص حرصاً كبيراً على عدم إهمال تينا مرة أخرى. كان محلقاً في أحلامه وهي توصله إلى الخارج ليذهب إلى شقته.. وكانت أيمي مسرورة من أجله. لكن، أمام سيطرة قوى باردن، سرعان ما نسيت أدريان.. وبدا لها أنها تضيع وقتها بمحاولة إخراجه من تفكيرها.. وربما في المستقبل، سيكون لها أمل أن تنساه ولو لدقيقة.

في هذه الأيام، لم تكن تشعر بالجوع.. لكنها أجبرت نفسها على تناول طعام سريع قبل أن تترك شقتها بعد الساعة الثانية لتقصد العمة هانا بغية إحضارها.. كان الطقس قد تحسن، وها هي الشمس مشرقة ولكن البرد ما زال قائماً.. حين أوقفت سيارتها ورنت جرس باب «كسويك هاوس»، ردت عليها مساعدة لم ترها أيمي من قبل:

ـ السيدة وايتفورد تتوقع زيارتي.

ـ لقد خرجت.

ـ خرجت؟

يا الله.. حافظي على هدوئك. ربما قررت الذهاب في سيارة أجرة.

ـ وهل قالت إلى أين هي ذاهبة؟

ـ أجل.

وبدا أن أيمي تسترخي.. على الأقل هذا أمر جيد، وأكملت المساعدة:

ـ لقد كتبت العنوان هنا، في الدفتر.

لكن المساعدة الجديدة ترددت قليلاً لتسأل عن علاقتها بها، وحين أعلمتها أيمي بهويتها، دعتها إلى الدخول. ابتسمت أيمي قائلة:

ـ أعتقد أنها استقلت سيارة أجرة لتذهب وتراني.

توقعت أن تكون العمة قد سجلت عنوانها ولكن أيمي صدمت صدمة حياتها حين رأت عنواناً مختلفاً.

قالت المساعدة:

ـ لقد ذهبت إلى. . لا أستطيع قراءة خطها. . هايزلدون. هل هذا هو عنوانك؟

شهقت أيمي: «هايزلدون؟»

ـ أجل هذا مكتوب هنا.

عرفت أن الاسم هو هايزلدون، لكنها طلبت بحدة أكثر مما تقصد: «دعيني أرى».

ظهر القلق على المساعدة، وأرتها الدفتر. . وها هو. . هايزلدون. يتبعه عنوان باردن بالتفصيل.

سألت المساعدة:

ـ هل من خطب؟ لقد قالت السيدة ڤيلاكوت إنها مدعوة للغداء. . و. . للغداء! يا الله!

ـ لا. . كل شيء على ما يرام.

وخرجت من المكان بسرعة.

قادت سيارتها بسرعة ولكنها حاولت أن تهدىء روعها. مدعوة إلى الغداء؟ من أين أتت بهذه الفكرة؟ وزادت أيمي سرعتها. وحاولت أن تتذكر متى قالت للعمة أين يسكن رب عملها؟

لا تذكر أنها ذكرت العنوان أمامها! وهذا لا يعني أنها لم تقل لها قطعاً، فهي والعمة كانتا تتناقشان بكل الأمور. . آه! ربما يوم اصطحبها إلى متحف الدراجات، كشف لها بنفسه عن مكان إقامته.

خففت أيمي سرعة السيارة، وعقلها يكاد ينفجر، ثم انعطفت إلى الطريق الداخلية لهايزلدون وعيناها تفتشان في كل مكان على أمل أن ترى العمة، لكنها لم ترَ للعمة أثراً. أوقفت سيارتها وترجلت منها، ودنت من

الباب الأمامي الضخم ووقفت أمامه بعد أن رنت الجرس. ستخبرها مدبرة المنزل ما إذا جاءت العمة أم لا وإن لم تصل فستترك لها رسالة.

مدت يدها لترن الجرس مجدداً وكلها أمل أن تكون السيدة تريڤور هنا. .

لعل الشيء الوحيد الذي يدفع الأمان إلى نفسها هو معرفتها بأن باردن في أميركا. . وهذا يعني أنه لن يعرف شيئاً مما حصل.

بدأ الباب الضخم بالتحرك، وما إن بدأ قلبها بالخفقان كالرعد حتى ازداد اتساع عينيها المذهولتين. . وحدقت إلى الرجل الطويل الرمادي العينين الذي وقف أمامها. . ! عرفت أن حظها تخلى عنها. . ماذا يفعل باردن هنا؟ يفترض به أن يكون في أميركا.

وقف باردن ينتظر منها أن تتكلم، أليست هي من أقفل السماعة بوجهه؟ ودون سبب يذكر تحول لون أيمي إلى قرمزي قاتم. . خرجت الكلمات منها كطلقة مدفع:

ـ هل السيدة وايتفورد هنا؟

لم يرد على سؤالها. . بل دعاها إلى الدخول وعيناه على وجهها المتورد وعلى فمه ابتسامة:

ـ تفضلي بالدخول.

يكفيها ما تشعر به، فكيف إذا زاد قلبها الطين بلة. . لكنها حمدت الله لأنه لم يأمرها بمغادرة ممتلكاته. . ودخلت إلى بيته، كانت تظن أنه قد يسأل عن سبب زيارتها. . لكنه سار أمامها. . سار إلى غرفة جلوس رائعة فيها عدة لوحات زيتية مميزة معلقة على الجدران، سجادها سميك وفيها عدة أرائك ذات مفارش عميقة، تشبه تلك التي شاهدتها. . إنها بحاجة إلى صفاء التفكير. . ولا تريد أن تفكر بالجلوس مجدداً على تلك الأريكة.

بدأت تقول بسرعة: «العمة هانا. . ».

لكن الجملة ضاعت في مكان ما حين رأته يغلق الباب وراءهما.

ارتد إليها وقال يدعوها: «اجلسي أيمي».

ردت: «العمة ها. . ».

- السيدة وايتفورد بأمان.

- وهل رأيتها؟ هل جاءت إلى هنا؟ تقول إنها بأمان أين؟

لم تنجح الابتسامة الواعدة، وتفرس بها باردن لعدة لحظات قبل أن يقول:

- في الواقع، لقد خرجت السيدة وايتفورد مع والدي.

اتسعت عينا أيمي أكثر: «وا.. لدك؟»

أذهلها أكثر: «لقد صحبها في نزهة في سيارته الأوستن هيلي، وكانت مسرورة كثيراً بمرافقته».

أوستن هيلي! مسرورة! بالتأكيد ستكون مسرورة. لا بد أنها احمرت ابتهاجاً لفكرة الخروج في مثل هذه السيارة الكلاسيكية.. آه! رباه!.. هذا أمر محرج جداً. الواضح أن أباه كان يزوره حين وصلت العمة هانا.. وكما أقنعت باردن بأخذها إلى برمنغهام، ولرؤيتها الأوستن هيلي متوقفة في الخارج، أقنعت والده أن يأخذها في نزهة فيها.

تمتمت ببؤس: «أنا آسفة».

ومنعها حبها لقريبتها أن تضيف شيئاً على الاعتذار.. لكنها سألت:

- هل لديك فكرة كم سيتأخران.

ألقى نظرة إلى ساعته:

- حوالى الساعة.. كما أعتقد.

قالت أيمي بخجل: «شكراً لك».

وعادت نحو الباب متوقعة أن يبتعد عنه.

قالت بأدب: «سأعود في ما بعد، لو سمحت».

ولم يتحرك إنشاً عن الباب. وقال لها ببرود: «لا أعتقد هذا».

- لا.. تعتقد..

وصمتت، وأخذت ترتجف في داخلها.. آه! لا تريد أن يقترب أكثر.. فهذا القرب أكثر من كاف:

- لن تمانع لو انتظرت في الخارج حتى عودة جدتي بالتبني.

في لهجتها تحدٍ وحزم.. وارتبكت عدة لحظات لأنها ظنت أن هذا

بالضبط ما يحاول قوله.

أخيراً رد: «بل أعترض بشدة.. لقد بذلت ما يكفي من جهد لأتدبر أمر مجيئك أنت و...».

صدمته أيمي التي شعرت بأنها مخدوعة. بدأ الأمر بالجلاء في آخر نصف جملة.

- دبّرتَ هذا؟

كانت هي المتحدية الآن.. يا الله.. هل هو «سيد تدبير الأمور»؟

- لأن لهذا أهمية كبرى عندي.. ولقد اتصلت بأبي عن عمد وطلبت منه المجيء في سيارته الكلاسيكية.

- كي.. كي..

هذا جنون.. بل هو أمر لا يعقل.. حاولت مرة أخرى:

- كي يأخذ العمة هانا...

- نعم حتى تتاح لنا الفرصة لنتكلم.

وهذا أيضاً أمر لا يعقل.. لكن ما هو المعقول في كل هذا؟ كان قلبها يتسارع كقطار الأكسبرس السريع. وسألت: «نتكلم؟»

- نحن بحاجة لمناقشة بضعة أمور أيملي لاوسون. أنت.. وأنا..

- نناقش؟

- لقد انتظرت هذا النقاش مدة طويلة.

كافحت لتجمع جملة كاملة، وقالت تذكره:

- أنت.. أنت.. ليس متوقعاً منك أن تعود قبل أسبوع.

عرفت أن لا شأن لهذا بذلك، لكنه أفضل ما تمكنت من جمعه.

رد عليها: «لقد عدت بسرعة».

وكاد يشتت تفكيرها حين أضاف: «جئت على عجلة لأراك».

لم تعرف ما إذا فغرت فاها أو أطبقته.. وقالت بذهول: «جئت لتراني؟»

فجأة، هبّت مشاعرها كلها للوثوب.. فغريزتها تنبئها بأن هذا الفاسق القذر يدبر أمراً.. لكنها لعبة للأسف.. لن تلعبها!

***

٨ ـ قولي نعم!

قالت أيمي بلهجة مشاكسة: «حسناً.. لست هنا لأراك!».

اللعنة! يعتقد أنه قادر على الإيقاع بها وأنها ستتماشى مع ما يريد!

ـ أنا هنا لأصطحب العمة هانا!

بإمكانه لعب أية لعبة يريد.. وتابعت:

ـ لا أدري لماذا تحملت مشقة أن.. أن تضطر إلى.. إلى.. وأنا لست مهتمة أبداً. لكن.. لكن.. أعتقد أنه عمل شيطاني منك أن تجعل سيدة عجوز تستقل سيارة أجرة وتأتي إلى هنا.

رد بهدوء: «السيدة وايتفورد لم تستقل سيارة أجرة».

عرفت أيمي أن سخطها يبدو جلياً.. حسناً.. ولماذا لا تخفيه؟

ـ من المؤكد أنها لم تأت سيراً!

ـ ليتك تهدئين أيمي.. أدرك تماماً أنك نارية الطبع، لكننا لن نصل إلى أي مكان بهذا الشكل.

ـ ألم تلاحظ أنني لست مهتمة أن أصل إلى أي مكان مع.. مع.. فيما يخصك.

يا الله.. كادت تقول له معك.. لكن ماذا يقصد على أي حال؟

أدارت له ظهرها محاولة إيجاد شيء من الهدوء.. إنها بحاجة للهدوء.. لقد انزلقت إلى الغضب.. ولا تستطيع تحمل مثل هذه الانزلاقات. إنها تريد فقط أن تأخذ العمة هانا وتخرج من هنا.

خاطب باردن ظهرها:

ـ اسمعي.. لن تعود السيدة وايتفورد قبل فترة طويلة.. فلماذا لا تجلسين؟ قد نستفيد من الوقت ونحن ننتظر من أجل..

وتردد.. والتردد ليس أمراً معتاداً فيه.. فلم يعجب أيمي هذا.. ثم تابع:

ـ فلنناقش شيئاً من سوء التفاهم.

ولم يعجبها هذا كذلك.. فهي لم تسيء فهم شيء، لولا تلك المخابرة..

ارتدت لتواجهه، وقد تجدد غضبها. فالواضح أنه لا يزال عازماً على عدم السماح لها بالخروج وانتظار العمة هانا في السيارة.. ابتعدت خطوات عنه.. فجأة، بدا كل شيء منافياً للعقل.. فهل ستقف هناك لمدة ساعة كاملة تحدق فيه.. تقدمت إلى إحدى الأرائك وجلست.

لكنها لم تكن مسرورة كثيراً حين جرّ باردن مقعداً وهو مسرور بنصره وجلس وهو لا يبعد عنها ياردين. سألت: «حسناً.. إن لم تكن العمة قد وصلت في سيارة أجرة.. فكيف وصلت إلى هنا؟»

هل يريد الكلام.. والنقاش؟ سيتكلمان، لكن عن أشياء تريدها هي. وهي تعرفه.. وتعرف عقله الذي يحب الوصول إلى لب الأمور. وبدلاً من الاندفاع في موضوع نقاشه هو.. رد عليها، لكن رده أصابها بالصمت لحظات:

ـ لقد أحضرتها إلى هنا بنفسي.

نظرت إليه، ورفرفت عينيها ثم تمكنت أن تقول بذهول:

ـ أنت.. اصطحبتها إلى هنا.

ـ لقد ذكرت أني أريد.. أن أناقش..

ها هو ذلك التردد مرة أخرى: «.. شيئاً معك».

وصدمها أكثر حين أثار موضوعاً بعيداً عما تريد هي مناقشته.

ـ زرت شقتك في وقت باكر اليوم فلم أجدك هناك.

ـ ذهبت إلى..

وتوقف تفكيرها مؤقتاً.. إذ لم تستطع استيعاب هذا. فبإمكان باردن،

www.elromancia.com

أن يحصل على أية امرأة. . ولن تدفعه رغبته فيها إلى هذا الحد المتطرف. . أليس كذلك؟

أضافت بذهول: «كنت. . أتسوق».

وسخرت من نفسها لأنها ظنت أن رغبته في إقامة علاقة معها دفعته للعودة سريعاً من أميركا قبل أسبوع من موعده. . حباً بالله. . استيقظي!

ـ أعرف. .

لكنها لم تكن قادرة على فهم ما يعرف إذ أضاف:

ـ كان من. . الملح أن أراك. وعندما لم أجدك قصدت السيدة وايتفورد.

بدأ عقل أيمي يعمل من جديد: «ذهبت لتسألها أين أنا؟».

ـ لم أرها وقتذاك بل رأيت إحدى المساعدات التي تعرفت إلي لأنها ما زالت تذكرني منذ أعدت عمتك إلى «كسويك هاوس».

آه! لا تذكرني بهذا! لقد أشارت إليه العمة هانا على أنه خطيب حفيدتها.

ـ قالت لي إن السيدة وايتفورد ترأس اجتماعاً، وإنها لا تجرؤ على مقاطعتها إلا إذا كان الأمر هاماً جداً. . أو أن انتظر حتى تأتي خطيبتي التي ستصحبها لتأخذها بعد الظهر؟

سألت بحدة: «وهل تريد مني أن أعتذر مرة أخرى لهذا؟».

سألها برقة: «وكيف أستطيع وأنت تتوردين بشكل جميل».

كادت تبتسم. . ثم أدركت أنه يغويها بكلامه!

ـ دعك من هذا كوتنغهام!

قال بهدوء: «أنت جميلة».

وقبل أن تشتعل غضباً مرة أخرى أضاف:

ـ اطمأن قلبي بعد زيارة «كسويك هاوس» لأنني عرفت أنك لم تسافري إلى مكان بعيد لقضاء نهاية الأسبوع.

قررت أن الوقت حان لتجمع أفكارها، وسألت: «اطمأنّ قلبك؟».

باردن ذكي. . وأن تشتاق إلى ذراعيه، لا يعني أن تكون ضعيفة ومستعدّة للاستسلام. . وستقاوم ما دام فيها رمق من حياة. وتتحداه، فهي الآن تزداد

قناعة أن باردن يحاول رفعها، ليتمكن من رميها عن علو شاهق مع أنها لم تستطع فهم السبب. ألعله يريد أن يطلب منها أن تقيم معه علاقة؟

قال: «الدي اجتماع في نيويورك يوم الاثنين. . ومن المهم جداً للشركة وموظفيها أن أكون هناك».

سألته باهتمام: «وهل ستعود إلى أميركا؟».

نظر إليها بثبات: «لقد عدت فقط لأراك. . أيمي».

وثب قلبها الخافق من مكانه وتسارع أكثر من قبل: «متى. . وصلت؟».

ـ وصلت ليلة أمس.

لقد قال إنه جاء بسرعة ليراها. . لكن بمثل هذه السرعة؟ كلامه هذا يزيدها تشويشاً! ربما أخطأت في فهم كل شيء. . تعرف أنه لم يرجع من أجل العمل. ولكن رجلاً له مركزه وخبرته، لن يوقف رحلة عمل مهمة في سبيل أن يقيم معها علاقة.

سألت لتتلمّس طريقها: «قلت. . إنك وصلت ليلة أمس؟»

ـ هذا صحيح.

ـ أعذرني على بطء استيعابي. . أشعر بتشوش.

قال بصوت لطيف: «خذي الوقت اللازم».

هذا لطف كبير من رجل مستعجل. . وها هو يبدو مسروراً لأنه يراها مرتبكة.

استمرت في تلمّس الطريق: «وعدت. . فقط لتراني. . لمناقشتي».

ـ لقد أحسست أن من الضروري أن أتناقش معك أيمي.

بدأت تذوب، ولم يكن عليه سوى قول اسمها بمثل هذه الرقة لتنهار، لكن هذا لا يكفي. . وسألت بحدة: «أليس في نيويورك هاتف؟».

ـ بلى. . وإن كنت تذكرين، حاولت الاتصال. . لقد اتصلت يوم الأربعاء لكنك صفقت الخط في وجهي مكافأة لجهدي.

إذن. . كان كل هذا بسبب العمل. . ولم تعرف أيمي ما إذا كان أملها خاب، أم ماذا. . لكن غضبها عاد يثور مرة أخرى، وصاحت بحرارة:

- إذا عدت لتعرض عليّ شخصياً العودة إلى عملي، بدافع الشفقة مجدداً.. فاحتفظ..

قاطعها: «الشفقة؟ أنا لا أشفق عليك.. أيتها الحمقاء المتكبرة!».

- شكراً!

- أنت حلوة ولطيفة، ولا تتذمرين بالرغم من كل شيء.. وأنا معجب بك كثيراً.

أوه.. كم تأمل ألا يقول مثل هذا الكلام.. بدأت ترتجف في أعماقها.

- لم أشفق عليك يوماً.. وأنا.. اتصلت.. لأنني كنت بحاجة إلى مكالمتك.. لكن البدء بنقاش عن العمل، بدا لي موضوعاً جيداً..

- ومنذ متى تتردد في الوصول إلى النقطة التي تريدها؟

- لم يحدث هذا حتى التقيت بك.. ولم أعرف ثورة الأعصاب حتى ظهرت.

نظرت أيمي إليه بذهول.. هل يقول عن حق إنه بحاجة إلى موضوع لفتح النقاش لأنه كان متوتر الأعصاب متردداً؟

ولم تستطع أن تقول سوى: «أنت.. تدهشني».

تدهشها.. بل تصيبها بالبلاهة!

- لقد دهشت من نفسي عدداً لا يحصى من المرات منذ عرفتك.

وكان هذا كثيراً عليها.. فلم تعد تفهم شيئاً.

قالت بغباء: «كلي آذان صاغية».

وكان هذا هو التشجيع الذي يحتاجه.

- بعد تلك المخابرة الرهيبة التي قلت لي فيها إن عليّ نسيان أمر عودتك إلى العمل.. عرفت أنني بقدر ما أحتاج أن أتكلم معك.. أحتاج أن أراك.

نظرت إليه بحذر.. وسألت: «أنت.. احتجت.. أن تراني؟».

- كدت أعيد الاتصال بك لأطلب منك السفر إلى أميركا.

سألت والذهول يتملكها: «ولكنك.. قررت ضد هذا؟».

- كنت مضطراً.. فقد فكّرتُ أن أطلب منك هذا على أساس أنك

مساعدتي الشخصية.

- هذا طبيعي.

سمح لنفسه بنصف ابتسامة:

- طبيعي.. لكنك قلت لي إنك تفضلين الموت جوعاً على العودة إلى العمل معي.. وعندها عرفت أن عليّ أن أنهي الادعاء على أي حال.

صمت قليلاً ليتأمل وجهها للحظات طويلة:

- أردت رؤيتك.. لأنك أنت، أنت.. أيمي.

وتعلقت عيناه بعينيها، وكأنما يفتش عن أية ردة فعل قد تبدر عنها..

أما هي، فظلت تنظر إلى عينيه مخدّرة الأحاسيس.

- ولهذا عدت ليلة أمس.. لأراك وأتحدث معك.

تنحنحت أيمي لتجلي حلقها الذي جف فجأة.. وسألت مجدداً:

- و.. عودتك.. لا شأن لها بالعمل؟

- لا شأن لها بذلك أبداً.

فجأة، ورغم الارتباك الذي تركها فيه، أدركت أنها كانت محقة في شكوكها، فبدأت:

- أنا آسفة أن أخيب أملك باردن.

خرجت الكلمة مخنوقة: «تخيبين أملي.. وهل تقولين إنك لست مهتمة..».

قاطعته بهدوء: «لست مهتمة!»!

وأحبته لدرجة الألم.. وتألمت أكثر لرؤية فكه يتصلب، وكأنه يسعى إلى شيء من السيطرة على نفسه:

- لا أستطيع أن أقيم علاقة معك.

- علاقة! ومن يطلب منك علاقة بحق الله؟

وكانت هذه هي النهاية لها.. لقد فهمت كل شيء معكوساً.. لقد قررت ألا تحمر خجلاً مرة أخرى.. لكن احمرارها وصل إلى منابت شعرها.

شهقت: «أنا آسفة!»

www.elromancia.com

ووقفت على قدميها تركض: «سأخرج لأنتظر في السيارة!».

كانت قد وصلت إلى الباب حين لحق بها باردن.. وقاومت لتتحرر منه.. لكنه رفض تركها، وحاول تهدئتها: «اهدئي».

ـ دعني أذهب.

ـ ليس بعد.. أيتها المعتوهة السخيفة.

جمدت أيمي.. وتراجعت قليلاً لتنظر إليه.. كان ينظر إليها مشجعاً.. لكنها لم تستطع إلاّ أن تكرّر:

ـ معتوهة سخيفة؟

ابتسم: «سامحيني.. لكنك فهمت كل شيء معكوساً».

ـ أنا.

ولم تستطع أن تنهي كلامها.

حثها بلطف: «لا تشعري بالحرج يا حبيبتي الصغيرة».

وكانت مسرورة لأنه لا يزال يمسك بها لأن عبارته «حبيبتي الصغيرة» هدّدت بتحويل ساقيها إلى سائل.

قالت، بما تبقى لديها من احترام لنفسها: «أنا.. آسفة.. فهمتك خطأ».

ـ الغلطة غلطتي.. وربما السبب أن هذا كله جديد عليّ. والظاهر أنني أنجح في إفساد كل شيء منذ صمّمتُ أن آتي و.. أراك.

كانت ردة فعل قلبها غريبة، عاجزة، ونظرت إليه، فطلب منها:

ـ كوني لطيفة معي أيمي.. وامنحيني الفرصة التي أحتاج إليها لأقول لك ما أريد.

بدا لها أن عقلها توقف وأنه لم يعد قادراً على التفكير.. ولأنها لم تعد تقاوم، أبقى باردن ذراعه حولها، وكأنه لم يقتنع بعد أنها لن تهرب، وأدارها نحو الأريكة.

جلس إلى جانبها.. فانسحبت أيمي من تحت ذراعه وحاولت جمع شتات نفسها.

نظر إليها: «لأمنع نشوء أي سوء تفاهم آخر أيمي.. سأبدأ من البداية.. وسأخاطر بالاعتراف بما سيجعل رأسك الجميل يضحك عليّ».

أخذ نفساً طويلاً.. ثم وبكل وضوح، وأمام ذهولها قال: «إنني.. أحبك».

حملقت أيمي إليه بوقار.. مصدومة بما قال. وكانت كل ذرة ذكاء فيها تقاوم لتستوعب ما سمعت. إنه يحبها.. يا الله.. ليت هذا صحيح.. لطالما عرفته صادقاً وصريحاً.. لكن هل يسعى بعد كل هذا إلى علاقة معها؟ هل قوله «أحبك» مجرد طريقة يستخدمها سعياً للغزو؟ لن تستطيع أن تعرف.. لكن ما تعرفه أنها لا تريد أن تكون واحدة أخرى من «غزواته».

قال: «لم تضحكي».

خشيت أن تشجعه بإظهار أية ردة فعل. عليها أولاً أن تعرف إن كان حقاً مهتماً بها، وعليها أن تعرف المزيد عن «أحبك» هذه.

وجدت صوتها أجشّ حين قالت: «هذا ربما لأنني لست خبيرة بمثل هذه الأمور».

ابتسم: «هذا يجعلنا اثنين».

أحست أيمي أنها تقف على أرض مهتزة:

ـ آه! متى.. همم.. بدأ هذا؟ هذا..

وتنحنحت، فقد علقت كلمة الحب في حلقها:

ـ هذا.. الاهتمام؟

ـ كنت هناك.. أجلس وراء مكتبي وأمامي طلب عمل قدمته آنسة اسمها أيملي لاوسون، ظاهرياً كانت مناسبة للوظيفة.. لكن هل يتناسب صوتها؟

حتى الآن، كل شيء يبدو رائعاً.. ولكنها تريد أن تعرف المزيد عن «أحبك» هذه. أوه.. لا.. لا يمكن أن يحبها.. وهل يمكن؟ ربما كان يتكلم هكذا ليجعلها تشعر براحة قبل أن يباغتها بالصدمة الكبرى، لكنها الآن على استعداد لمجاراته:

www.elromancia.com

ـ هكذا . . دعوتني إلى المقابلة؟

ـ عرفت أن لك صوتاً جيلاً . . لكن المفاجأة أنك كنت جميلة كذلك وكدت لا تحصلين على الوظيفة .

قالت أيمي : «وهل كان أمامك خيارات أخرى لها مؤهلاتي؟» .

ـ صحيح . . لكن هذا لم يكن السبب . . عرفت أنك كنت تخبئين شيئاً، حين سألتك عن الالتزام .

شهقت : «عرفت؟»

ـ أنت لا تجيدين الكذب .

ابتسمت : «لكنني بذلت جهدي» .

أردف : «كان يجب أن أرفضك في الحال . . وكان من الطبيعي أن أفعل . . لكنني كنت قد بدأت أدرك أن لا شيء اعتبرته أمراً طبيعياً سيكون أمراً طبيعياً مرة أخرى .

ـ بسبب . . بسببي؟

ـ أوه . . أجل . . بسببك . . كنت هناك في المقابلة ، لطيفة ومتحفظة . . ورأيت أنك تخفين شيئاً . . كان يجب أن أعرف ، حين خالفت حكمي وقبلت طلبك ، أنني كنت أسعى إلى المتاعب .

ـ متاعب؟ لا أعتقد أن عملي شابته أية شائبة .

ـ لم ترتكبي أية غلطة في عملك . . والواقع أنك أثبت بسرعة مدى براعتك ، أما المتاعب التي قصدتها فلم يكن لها علاقة بالعمل أبداً .

ـ وهل تقول . . إنني سببت المتاعب . . لك شخصياً؟

رد دون تردد :

ـ منذ اليوم الأول . . فلم أكد أتحمل تباعدك عني مع أنني أقنعت نفسي أن هذا أفضل من أن تظهري لي وداً متزايداً . . لكن عجرفتك الجبارة كانت شيئاً آخر .

ـ أنت تشير إلى إساءة فهم ما بينك وبين روبرتا شورت؟ . . ظننت أنك ستطردني يوم ذلك الشجار .

ـ ولا أفهم السبب الذي منعني من هذا . . أما الآن فأعرف السبب .

نظرت إليه مصدومة . . هل يقول . . لأنه أحبها؟ وأرادت يائسة أن تصدقه . . لكن الأمر لا يصدّق . . إنها بحاجة لسماع المزيد ، والمزيد . .

ـ أعتقد أنني اعتذرت .

رد باردن عليها نظرتها بثبات ، فاضطرت للشرح :

ـ كنت قد اكتفيت من أرباب العمل الفاسقين . وبسبب كل أولئك النسوة اللاتي يتصلن بك ، أصبحت واثقة أن لك علاقة مع زوجة صديقك . . و . .

ـ وظننت أنني من الصنف عينه .

تذكرت كارلا : «وكارلا نيسبيت؟» .

خرج الاسم من فمها قبل أن تفكر .

ـ لم تعد .

وصمت . . ثم سأل بسرعة : «أتشعرين بالغيرة؟»

ـ أبداً .

أوه . . حذار أيمي . . فهو أذكى منك بمراحل . . هل تظنين حقاً أنه يحبك؟

رأت أنه الآن بات ينظر إليها بجد وصبر ، وبعد لحظات سألها بلطف :

ـ هل يساعدك لو قلت لك إنني كدت أفقد رأسي لشدة غيرتي عليك .

اتسعتِ عيناها وشهقت : «لا . . ممن؟» .

ـ كان هناك في البداية جاك برابنت الذي أزعجني بعد ساعات من مقابلتك ، فقد كان يسألك عن رقم هاتفك . . ثم . .

ـ لكن هذا كان منذ زمن بعيد . . لن تقول إنك غرت من جاك . . . ؟

ابتسم لها ، واعترف : «لم أعترف لنفسي يومذاك إنها غيرة لا انزعاج» .

ـ لكن . . وهل ظننت هذا؟

ـ أعرف الآن أنها كانت غيرة ، كنا قد تشاجرنا في اليوم الذي سبق . . ومنذ تلك اللحظة ، بدا أنك تقفين باستمرار بيني وبين عملي . . وقلت بيني

وبين نفسي: «اذهبي إلى الجحيم» . . لكنني اكتشفت أنك تقلبين عالمي رأساً على عقب، وبسرعة هائلة .

فغرت فاها قليلاً: «أنا . . ؟»

ـ أنت .

ابتلعت ريقها . . أرادت أن تصدق . . لكن هل تجرؤ أن تصدق؟

قالت بصوت أجش: «هيا . . تابع» .

تحرك على الأريكة ليقترب منها وبدأ يخبرها عن عالمه الذي قلبته هي رأساً على عقب .

ـ أحسست بأنني سأكون ملعوناً لو شرحت لك أمر حفلة روبرتا شورت المفاجئة لزوجها، والتي طلبت مني مساعدتها في إعدادها . . كيف تجرؤ هذه المساعدة الجميلة على الحكم علي؟ كنت أرى نظراتها المشمئزة مني، ولم يصفعني أحد على يدي منذ كنت طفلاً .

ـ وأغضبتك؟

ـ وجدتك مضجرة . . لكن الوقت كان قد تأخر على التخلص منك . ولم أستطع أيتها المرأة الخبيثة . . كان فيك شيء . . يصل إليّ .

ـ أوه .

تسلل شبح ابتسامة إلى وجه أيمي . .

ـ منذ اليوم الأول، عزيزتي أيمي، انجذبت إليك . أردت أن تري فيّ الجانب الحسن، ولكنني بتصرفاتي جعلتك ترين الجانب السلبي مني .

هز رأسه قليلاً وكأنه لا يزال محتاراً: «المنطق عزيزتي . . خرج من الباب يوم دخلت أنت» .

ـ لكنني لم أر قطُّ رجلاً يتحكم فيه المنطق مثلك .

ـ وماذا أقول لك؟ . . أنت، والتفكير فيك، بقيا يشقان طريقهما بإصرار إلى رأسي . . ووجدت أنني أغضب من الآنسة المحتشمة الصغيرة التي كانت تبدو أحياناً لطيفة رقيقة .

ـ اعتقدت أنك تواعد امرأتين في وقت واحد . وتواعد زوجة صديقك .

أراد أن يعرف: «لم تشعري بالغيرة ولو قليلاً؟ مجرد قليلاً؟» .

وهل يضيرها لو أعطته أملاً ولو صغيراً؟ .

ـ نعم . . غضبت وغرت قليلاً .

أمسك إحدى يديها:

ـ يا حبيبتي الصغيرة . . لستُ قديساً أيمي . . لكن تلك المكالمات كانت رداً على الدعوات التي وجهتها روبرتا لحفلتها . . أولم تلاحظي أن الرجال كانوا يتصلون أكثر من النساء ليستقبلوا الدعوة؟ ما عدا واحدة .

ما عدا واحدة . . وذهب عنها الابتسام: «كارلا نيسبيت» .

ـ أنا وكارلا خرجنا معاً عدة مرات . . لكنني اضطررت يوم الأحد الماضي أن أقول لها حين حضرت إلى منزلي دون دعوة، إنني لن أراها مرة أخرى .

ـ وهل . . أنهيت علاقتك معها؟

ـ بصراحة لم يكن هناك ما أنهيه . . فهي لم تؤثر فيّ كثيراً، مع أنني خرجت معها بضع مرات . ولكنك كنت تحتلين خيالي وعقلي .

ـ أنا؟

ـ أجل، كان كل هذا جديداً عليّ، أيمي . وهذا ما جعلني ضعيفاً . . ولم يعجبني الأمر .

ابتسمت: «أنا آسفة» .

ـ وأنا أحبك .

همست غير مصدقة: «آه! باردن» .

سأل: «وهل . . تحبينني؟»

لم تستطع أن تعترف له، فالتوتر كان يأخذ منها كل مأخذ . . هزت رأسها: «أنا . . . » وخانتها الكلمات .

قال بصوت أجش: «ألا تحبينني؟»

حاولت مجدداً: «أنا . . » .

جالت عيناه على وجهها:

ـ لست على استعداد بعد؟ حسناً . . ماذا أقول أيضاً؟ هل أخبرك عن

الغيرة التي حركتها في نفسي؟ هل أخبرك بما شعرت به عندما لم تأتِ العمل في أحد الأيام.. وكنت قد استلمت لتوي ملاحظات مخدومك السابق عن فظاظتك ووقاحتك وتأخرك عن العمل؟

تذكرت: «كنت غاضباً جداً».

ـ وكيف لا أكون غاضباً..؟ يومذاك اتصلت داون تقول إنها تعاني.. فطلبت منها عدم المجيء. وهكذا كنت، بلا مساعدة وبلا مساعدة المساعدة. حاولت الاتصال بك.. لكن...

ـ وهل اتصلت؟

ـ لكنك لم تجيبي.. فظننت أنك إما في الخارج وإما في الفراش ولا تريدين الخروج منه. إذن إفادات العمل لم تكن كاذبة.. وحين وصلت أخيراً، عزيزتي أيمي، واتخذت من مشاكلك المنزلية عذراً..

ـ وهل بدا لك أنني أكذب؟

ـ عاملتك بشكل قذر خاصة بعدما عانيت لإيجاد السيدة وايتفورد.

ابتسمت: «لم تكن تعرف بأمرها».

ـ وهذا لا يجعلني أشعر أنني أفضل حالاً.. ففي وقت لم أكن فيه بحاجة إلى تلك المذكرات، تسببت لك بالتهاب رئوي، بإصراري على طبعها وإيصالها إلى منزل نيفيل شورت ذلك المساء.

تمتمت: «أنت تبالغ قليلاً.. ألم تكن بحاجة إليها؟».

ـ بل كان مجرد جنون لعين.. وكيف لي أن أعرف أنك ستخوضين في الثلج لإيصالها لي؟.. لكن، كان يجب أن أعرف.. فقد رأيت وأعجبت بروحك المعنوية. لن أنسى أبداً منظرك تقفين هناك تلك الليلة.. زرقاء من شدة البرد.

خاطر بقبلة صغيرة على خدها: «ولاؤك عوض عن إفادات عملك الرهيبة».

وأحست أيمي بنوع غريب من الارتجاف في داخلها، ولم تعد قادرة على الكلام.. في هذا الوقت تشجع باردن واقترب منها وراح ينظر إلى عينيها

المتسعتين البنيتين وقال لها:

ـ أعتقد أنني في تلك الليلة بدأت أقع في حبك.

ابتلعت أيمي ريقها.. أوه.. إنها تحبه كثيراً.. وهي ستنفجر إن تابع على هذا المنوال.. تمتمت:

ـ لقد.. أيقظتك.. وأنا أتقيأ.

كانت تريد أن تضيف شيئاً من الواقعية إلى الحديث الحالم.

ـ وأنا.. الذي لم يحلم قط بأن يأتي يوم أمسك فيه رأس من يفرغ معدته.. أحسست أنني أريد بيأس حمايتك.

همست: «أوه باردن».

تنفس: «حلوتي أيمي».

كانت نظرته إليها حنونة بحيث لم تستطع أن تشك في أنه يهتم بها، وعاد قلبها للتسارع وهو يكشف المزيد:

ـ رغبتي في حمايتك لازمتني إلى اليوم التالي وأنا أقلك إلى بيتك.. ولكنني أقنعت نفسي أن سبب ما أشعر به نحوك هو مرضك خلال الليل.

تمتمت: «هذا طبيعي».

ـ عرفت، حين وصلنا إلى شقتك، أنك فعلاً تتجنبين قول شيء لي.

ابتسمت: «العمة هانا؟»

ـ العمة هانا.. كم أتمنى لو كنت أعرف بأمرها حين اتصلت ذلك المساء.. وقلت إن لديك رفيقاً.. ليتك تعرفين أية غيرة مجنونة تملكتني!

شهقت: «حقاً؟»

فما زالت تذكر أنه أقفل الخط بعصبية عندما قالت له إن معها رفيقاً.

ابتسم: «كنت واثقاً أن رفيقك هذا هو رجل.. ولم أكن قد اعترفت لنفسي أنها الغيرة.. لا سمح الله.. فهذا ما لم أشعر به قط. لكن لماذا عانيت المشاعر عينها يوم تلقيت المكالمة يوم الاثنين التالي في المكتب، وطلبت فرصة ساعة وظننت فوراً أنه رجل؟ لماذا، إن لم يكن الغيرة؟ ولماذا أشعر بالتوتر لرؤية جارك القديم يقبل خدك.. وكنت في حيرة من أمري حتى قدمتني للسيدة

وايتفورد . . وبدأت أدرك إلى أي درجة أنت امرأة رائعة» .

همست بحب : «أوه باردن . . أنا لست هكذا» .

أدركت فجأة أن شيئاً من مشاعرها له ، يظهر في عينيها ، لأن نوراً جديداً بدأ يظهر في عينيه .

ـ متى عرفت؟

خدعت للحظة : «ماذا؟» .

ـ إنك تحبينني .

ـ كان هذا . .

وصمتت . . لكن متأخرة . . فلن يتركها تفلت . . ليس الآن .

ابتسم أجمل ابتسامة حب ، ابتسامة لم تر مثلها من قبل ، صاح مسروراً :

ـ أنت تحبينني أيمي . . ! أوه يا حبي . . أنت تحبينني ! وهذا ما كنت آمله . فكرت ليلة أمس وأنا مستلق ويائس الأمل أنك ربما تحبينني . . وأنني ربما رأيت . . لكنني كنت واثقاً أنني لم أرَ شيئاً . . لكنك تحبينني أليس كذلك؟

بدا وكأنه يتوسل . . فكيف تنكر هذا عليه؟ تمكنت من النطق : «أنا . . أحـ . . أحبك» .

وكان هذا كل ما ينتظر سماعه . وما هي إلا لحظة حتى كانت بين ذراعيه ، يضمها إليه ويضمها . . ويحبها . . وتمتم وفمه على شعرها : «كان الأسبوع الماضي جحيماً لي» .

ارتدَّ ينظر إلى عينيها : «كرريها مجدداً يا حبيبتي الغالية . . وأنهي بؤسي» .

وماذا بمكنها أن تفعل؟

ـ أحبك .

وكوفئت بأجمل عناق .

رفض باردن أن يبعدها عنه ، وأبقاها بين ذراعيه . . ثم ارتدَّ قليلاً لينظر إلى عينيها ، ويسأل :

ـ منذ متى؟

ابتسمت أيمي . . آه . . ليس هناك ما هو أروع من الإحساس بأن من تحبه

يبادلك الحب .

ردت بخجل : «تسلل هذا إلى قلبي في غفلة مني» .

هز رأسه : «أعرف هذا الشعور . . متى شعرت بذلك للمرة الأولى؟» .

ـ أعتقد أن هذا الحب بدأ يتسلل إلى قلبي منذ اللحظة الأولى . . فقد كرهت تلك النسوة اللواتي كن يتصلن بك . . لكنني لم أعتبر تلك الكراهية غيرة ، وكنت أحسب نفسي أعمل مجدداً عند زير نساء فاسق .

ـ آه! حبيبتي . . لم أعد زير نساء منذ مضت مرحلة المراهقة عندي .

ـ حقاً؟

ـ حبيبتي المسكينة . . مررت بوقت عصيب . . أليس كذلك؟ صدقيني حبيبتي أنني تخليت عن مثل هذه الأمور منذ سنوات بعيدة ، منذ أن تعلمت اختيار المرأة المناسبة لأقيم علاقة معها .

ـ وهل كانت علاقات كثيرة؟

ـ لم يتعد الأمر عدة علاقات .

يبدو أنه على أتم استعداد للإجابة عن جميع أسئلتها .

أضاف : «لكنها انتهت الآن . . كلها . . وهذا يعني أن عليك ألا تغاري من أحد أبداً . . » .

صدقته وعرفت أنها تستطيع الوثوق به . . ثم ردت عليه ابتسامته وهي تقول :

ـ الغيرة على ما يبدو تلازم هذه المرحلة .

قال : «أخبريني عنها! أنت تعترفين بما أرغب في معرفته يا صغيرتي أيمي . . سبق أن قلت لك إنني رجل ناضج ولكن رغم ذلك أشعر بشعور رهيب . . أشعر أنني بحاجة للتأكد من حبك لي» .

وابتسمت مجدداً ابتسامة مشرقة . فهي تعرف نعم المعرفة الشعور الذي يستحوذ على باردن :

ـ أحبك باردن كوتنغهام . . ولا أعرف السبب .

ـ أضيفي المزيد .

ـ لقد كنت قاسياً متسلطاً معظم الوقت.
ـ لا أعتقد أنني سأحب سماع هذا الجزء من القصة.
ـ مع ذلك، وفي الوقت عينه، كنت لطيفاً بشكل لا يصدق.
تمتم: «يعجبني هذا».
نظرت إليه، وجمعت شجاعتها، كي تميل إلى الأمام لتعانقه فقال:
ـ أوه.. أيمي.. أيمي ما أعظم حبي لك!
وحسبت أنها ستجهش بالبكاء من شدّة الفرح. منعتها الغصة في حلقها وارتدت إلى الوراء.. وأضافت:
ـ ظننتك ستطردني من العمل.. فعندما اكتشفت أمر العمة هانا، تأكدت أنك ستطردني لكنك لم تقدم على ذلك.. وعدنا إلى العمل.. وذلك المساء أقليتني لأسترد سيارتي و..
ـ وبالتأكيد لم يكن هناك المزعج دابقد الذي اسمه أدريان.
ـ وهل شعرت بالغيرة من.. أدريان؟
ـ لم أسمّ ذلك غيرة.. بالنسبة لي كان ذلك أقل ما أفعله، فسيارتك خرجت عن الطريق وأنت تقومين بعمل لي.. ولكن يجب أن أعترف أنني تأثرت جداً.. لذا سألت السيدة وايتفورد متى ستتزوجين به.
ـ لم يكن هذا السؤال وارداً البتة.
ـ إذن.. لماذا كنتما كحمامتي حب، تتسوقان معاً هذا الصباح؟
ـ لم نكن معاً!
ورأت باردن يستشيط غضباً لأنه اعتبرها تكذب، قال بهدوء فظيع:
ـ لقد رأيتكما أيمي.
ـ أنا وأدريان نتسوق معاً؟ أدريان يسكن في الشقة التي هي فوق شقتي.
ـ حقاً؟
ـ ألم تكن تعرف؟ ولهذا السبب دق على بابي ذلك الصباح عندما نمت أنت في غرفة العمة هانا.. كان قد نزل على الأرجح ليستعير شيئاً. اعلم أنه ما زال يحب صديقته السابقة وكان قد أنهى للتو اتصاله الهاتفيّ بها.. وفي ذلك

الاتصال، جعلها توافق على الخروج معه مجدداً.. حين شاهدني من نافذته لم يستطع الانتظار ليخبرني.. كان يجب أن يخبر أحداً..
ـ هكذا هرع إلى الأسفل، وأمسك بعض مشترياتك، وقبل خدك، يا للغيرة! إنها وحش عاطفي.
أشفقت عليه: «أوه باردن.. مهلك لحظة.. ألم تقل إنك جئت إلى منزلي ولم تجد أحداً؟»
ـ لم تكوني موجودة في المرة الأولى.
ـ وهل جئت مرتين؟
ـ ما إن تأكدت أنك لن تقضي العطلة في مكان آخر، حتى عدت.
ـ لكنك لم تتوقف و...
ابتسم: «ولماذا أتوقف وأنا أراه يقبلك على وجنتك بمرأى من الجميع؟».
ـ آه باردن.. أهكذا بدا لك الأمر؟
ـ أعمتني الغيرة، فاضطررت لمغادرة المكان لئلا أتقدم وأرمي به من فوق سياج المستودع السفلي.
صاحت برهبة: «أوه!»
ـ خرجت من هناك والغيرة تنهشني.. ماذا كان يجري في أثناء غيابي؟
ـ لا شيء.
ـ أعرف.. كما أعرف أنه لم يكن لي الحق أن أغار.. لأنني لم أعلن لك عن حبي..
التقط أنفاسه ثم أضاف: «حبيبة قلبي.. لقد جئت إلى الوطن خصيصاً لأنني لم أستطع تحمل مزاجك.. ولم أكن أنوي العودة قبل أن أراك وقبل أن تتاح لي فرصة محادثتك.. ساعتئذ فقط وضعت خطتي هذه».
ضحكت أيمي، إنما كيف لا تضحك وهي تحبه إلى هذا الحد؟
ـ أحبك باردن.
وجمعها باردن بين ذراعيه يؤخر إخبارها عن خطته.. في تلك اللحظات

التي لا تنتهي، تبادلا نظرات عميقة ثم سألته حالمة: «أية خطة؟».

جمع باردن أفكاره، وبدأ يكشف:

ـ كنت غاضباً، مريضاً، تتملكني الغيرة. . وعرفت أنني لن أقوى على تحمل المزيد. . فمشاعري نحوك كانت تقتلني، ورحت أقنع نفسي أنك قد تهتمين بي قليلاً. لكن الآن. .

ابتسم وشدّها إليه أكثر ثم أضاف:

ـ بدأ التوتر ينتابني. . لم أكن سابقاً بحاجة إلى عذر لأزورك. . ولكن الضعف الذي سيطر علي هذه المرة كان قوياً. خطتي الأولى كانت أن أعود إلى «كسويك هاوس»، وأن أصطحب السيدة وايتفورد إلى الغداء ثم أقلّها إلى شقتك متخذاً من ذلك حجة لرؤيتك.

ـ وهل قررت دعوتها إلى الغداء؟

ـ كان يجب أن أفعل شيئاً، ولكنني شعرت أن في الخطة عيباً كبيراً. . فأنا أريد بيأس أن نكون وحدنا ولن نكون وحدنا مع السيدة وايتفورد.

ـ هكذا غيرت الخطة معتمداً الخداع؟

ضحك. وكانت ضحكة ملؤها الفرح، ووقعت أيمي مجدداً في حبه.

ـ ذهبت إلى «كسويك هاوس» ودعوت السيدة وايتفورد إلى الغداء هنا. . وعندما ذهبت السيدة وايتفورد إلى غرفتها لتجلب معطفها، خرجت إلى سيارتي فاتصلت بأبي، وشرحت له كم من المهم لي أن يأتي إلى هنا ليصطحب العجوز في جولة في إحدى سياراته الكلاسيكية.

ـ وهو. . لم يمانع؟

ـ إنه يعرفني. . ويعرف أنني لن أستخدم تعبير «كم من المهم لي» إلا إذا كنت أعني ما أقول. . ولكني شعرت بالذعر حين طلبت السيدة وايتفورد بعد الغداء أن تعود قبل أن تأتي أنت إلى «كسويك هاوس».

ـ وكنت متأكداً أنني قادمة إلى هنا لأسأل عنها؟

ـ آه! حلوتي أيمي. . لم تأخذ عمتك جانب الحذر. . واقتنعت أنك ستأتين إلى هنا لتصحبيها من منزلي. . ولذا جعلتها تكتب عنواني.

ـ محتال ماكر!

ـ بل رجل يائس من حبه. ولا داعي للقلق عليها. . لقد انطلقت مسرعة كالعاصفة ما إن سمعت ورأت الأوستن هيلي. ولسوف يعتني بها جيداً. . لقد كان مبتهجاً باهتمامها بالسيارة. . وعلى الأرجح، سيمضيان الوقت كله بالتحدث عن المحركات والميكانيك.

تمتمت أيمي: «ونجحت بخديعتك لأنني كنت كما تتوقع».

ـ ولم أستطع الانتظار لفتح الباب، لأهمية ما أريد قوله لك. . فما كنت لأحتمل خسارة هذه الفرصة.

ـ ألى هذا الحد كنت يائساً؟

ـ ليتك تفهمين!

ضحكت: «بلى. . لدي فكرة في الواقع».

ـ وهل قضّت تلك المشاعر مضجعك كما قضّت مضجعي؟

ـ كنت قادراً على الولوج إلى عواطفي بطريقة ما منذ البداية.

تذكر: «لكنك قلت لي إنك معجبة بي يوماً. .».

ـ ذلك كان يوم جئتني ببعض الأدوية.

ـ وبعد بضعة أيام، وجدت نفسي مفتوناً بك وكان أن دعوت نفسي للغداء.

تمتمت: «وعانقتني؟»

إن كان هذا حلماً، فهي لا تريد أبداً أن تستيقظ منه.

اعترف: «وأمضيت معظم وقتي في ما بعد، أفكر فيك فقط».

ـ لكنك خرجت مع كارلا نيسبيت يوم الجمعة التالي.

ضحك مجدداً: «وأمضيت معظم وقتي في ذلك الموعد، يا حبيبتي الغيور، أحاول إبعادك عن أفكاري».

ـ أنت تقول ألطف الكلام.

نظر باردن إلى ثغرها المغري: «هل قلت لك إنك فاتنة؟ ساحرة؟».

وضمها مجدداً لفترة طويلة ثم ارتد ليقول، وفي كلامه شيء من الغيرة:

ـ أما زلت تقابلين الرجل الذي أسرعنا من ستراتفورد لتريه؟

ردت بحيرة: «لا أذكر».

ـ لم أكد أتخلص من انزعاجي لسروري بمحادثة جاك برابنت حتى قلت لي إنك سترين شخصاً آخر تلك الليلة.

تذكرت أيمي: «هذا وقت الاعتراف.. أنا.. اخترعت هذا».

ـ ألم يكن لديك موعد؟

ابتسمت: «كذبت.. وعرفت تلك الليلة ونحن في شقتي أنني أحبك».

جلس ينظر إليها: «منذ ذاك الحين..؟»

هزت رأسها: «ما إن اكتشفت مشاعري نحوك حتى وجدتني في عناق معك».

تلاشى صوتها.

ـ كنت على وشك أن أفقد وعيي حين رفضتني وذاك ما ردّ إليّ صوابي.

قالت: «قلت إنّ ذلك ما كان يجب أن يحدث.. وعرفت أنك ندمت على حدوثه».

ـ أوه يا حبيبتي الصغيرة.. أردت البقاء لتسوية الأمور معك.. لكن تصرفك المتكبر جعلني أدرك أنك تفضلين أن تبقي وحدك.. وكنت ساعتئذ مصدوماً.

ـ أكنت مصدوماً؟

ـ كنت قد دخلت إلى كياني منذ وقت بعيد.. لكن هذا لم يرق لي، لأنني كنت أحب حياتي كما هي. ولهذا السبب قررت أن تقتصر علاقتنا على العمل فحسب لكن..

صمت قليلاً، وعلى وجهه نظرة الاستخفاف فأكملت:

ـ لكن، يوم السبت، احتجت إلى مكان تريح فيه رأسك المصاب بالصداع النصفي.

ـ ذاك اليوم تملكني القلق والاضطراب.. وقررت ألا أفكر فيك بعد ذلك.. فكان أن ذهبت إلى حفلة.. لكن مزاجي المتكدر لم يجعلني أستمتع،

وتركتها بعد وقت قصير.. لم أكن قد خططت للمرور بقرب منزلك الذي كان بعيداً أميالاً عن طريقي.. لكنني وجدت نفسي قرب منزلك حين صعقني ألم الرأس.

ـ وأنا مسرورة لأنك قصدتني.

قال بحرارة: «وأنا كذلك. وحين بدأ رأسي يجلو، وتذكرت، كنت واثقاً أنك قبلت رأسي بكل حنان».

ـ لم أستطع منع نفسي.

ـ وأنا سعيد لهذا.. ثم حاولتُ جمع الأدلة التي تشير إلى أنك تشعرين بشيء نحوي.. تذكرت الكيمياء المشتركة، كلمة من هنا، ونظرة من هناك.. ورأيت لطفك الرائع، حبك، ورعايتك للسيدة وايتفورد.. فهل كانت تلك القبلة تعني ولو القليل من الاهتمام بي؟

ـ وماذا كانت برأيك؟

ـ لقد أملت أن تكون دليلاً على اهتمامك بي، فبعد صباح ذلك الأحد استوليت على أفكاري أكثر فأكثر.. وبدأت، حبيبتي، أعترف أن فيك شيئاً مميزاً جداً.. في أيملي لاوسون شيء يجعل القرب منها رائع.. وفي الأسبوع التالي.. لم تتواني عن إغضابي غضباً أسود، والسبب هو ما أخبرتني به عن خروجك مع شخص اسمه سايمون!

ـ خرجت معه مرة واحدة، لأنني كنت أشعر بالغيرة لأنك كنت ستخرج مع كارلا نيسبيت.

تمتم باردن: «أوه حبيبتي.. لقد وعظت نفسي بقسوة تلك الليلة».

ـ وما السبب؟

ـ السبب أن أيملي لاوسون امرأة جميلة.. وماذا توقعت منها.. أن تبقى معي ليلاً؟

تساءلت أيمي.. عما إذا كان قلبها سيهدأ بعد اليوم. آه! ما أروع أن يحبها باردن.

ـ كان ذلك في الليلة التي صممت فيها أن أسيطر على نفسي.. ولماذا

الغضب؟ من حقك الخروج مع أي كان.

ـ لكن ما إن حل يوم الجمعة حتى قررت ألا تخرجي مع أحد غيري.

ـ وهل أردت هذا؟ يوم الجمعة التي سبقت سفرك إلى نيويورك؟

ـ هو عينه. وفي ذاك اليوم كنت أضعف مما تصورت.

حل النور في رأسها: «وقررت اصطحاب العمة هانا إلى معرض الدراجات!».

ـ على أمل أن ترافقينا.

شهقت: «وهل شعرت بالضعف لأنك طلبت مني ذلك بشكل مباشر؟»

ـ حسناً.. لم يسبق لي أن وقعت في الحب! على أي حال، كنت أحاول إقناع نفسي أنني أحب حياتي كما هي.

ضحكت: «أنت.. رائع».

وضمته، ثم همست: «ماذا كنت تقول؟»

ـ كنت أقول إن الوقت الذي افترقت فيه عنك بات لا يطاق، فكل دقيقة مضت عليّ كانت دهراً.. ونهار الأحد تملكتني الكآبة لأنني سأغيب عنك مدة أسبوعين.. أسبوعين كاملين. وفيما كان عليّ التطلع قدماً إلى العمل الذي كان بانتظاري قضيت الوقت بالتفكير فيك.. فيك أنت وحدك.. وفي أنني لن أراك قبل خمسة عشر يوماً.

وهذا بالضبط كان حالها! وابتسمت له: «أشم رائحة مؤامرة شيطانية قادمة».

قبل أنفها واعترف: «بالطبع، كان بإمكاني المجيء إلى بيتك لأزورك.. لكن خشيت أن يكون سايمون معك.. وخشيت مما سأشعر به لو وجدته معك! ثم أليس من الممكن أن يزورك في أي وقت؟ وكما قلت.. كنت أشعر بضعف متزايد».

ـ هكذا اتصلت بي.

ـ ودعوتك لأخذ بعض المذكرات المزعومة.

ـ يا لشدة مكرك! «سأرد لك هذا».

واضطرت إلى الضحك.. فلم تكن الحياة قطُّ بهذه الجودة.. لكن عندما طالعتها الذكريات الأليمة بدأت ابتسامتها تخبو..

سأل: «ماذا؟ بم تفكرين؟ ما الأمر أيمي؟»

ولم ترغب في الإجابة.. لكنه أصر: «أخبريني!».

فكرت أن من الأفضل عدم الكتمان:

ـ ذلك الأحد.. يوم اتصلت.. هل كان في نيتك محاولة إغوائي؟

قال بحدة: «يا الله.. لا! أهذا ما ظننت؟ أهذا ما كنت تفكرين فيه؟».

ـ تلك المكالمة.. هل تذكرها؟ حين.

واحمرت مجدداً.

ـ أعرف.. كان هذا عمي ثوبين.. وكان عقلي مشوشاً بسبب هرويك بحيث لم أتذكر أن أتصل به مجدداً حتى وصلت إلى أميركا.. لكن ماذا...؟

ـ لقد قال...

ـ ماذا؟ لم أعتقد أنه قال شيئاً، ظننت أنك مررت لي المكالمة خوفاً مما قد يحدث بيننا فيما لو بقيت معي.. لكن.. هيا أيمي.. لم يعد هناك أسرار بيننا الآن.. ماذا قال؟

رأت أنه على حق.. لا تريد أية أسرار بينهما.

ـ قال.. كان يظن أنه يتكلم معك.. طلب أن تتوقف عن إغواء سكرتيرتك وأن تكلمه.

تأوه باردن: «سأقتله! مع أنني أحبه كثيراً.. سأقتله!».

ـ لا داعي للاقدام على شيء مأساوي بسببي.

ـ سيعتذر.. سأبلغه هذا.

ـ سأموت خجلاً لو قلت له، فهو لا يعرف من أنا ولا يعرف أنني أنا من رفعت السماعة وسمعت ما قال.

تمتم باردن:

ـ حبيبتي، لقد عملت في مكتب العم ثوبين ستة أسابيع في أول عطلة دراسية لي.. ولم يتركني يوماً أنسى أنني يوماً غازلت سكرتيرته.. أوه يا

www.elromansia.com

حبيبة قلبي . . أنا آسف . . ليتك أخبرتني . . لا شك أنك ظننته . .

قالت بحرارة: «ظننت أنك نصبت لي فخاً؟»

قال بصوت أجش: «تعالي إلى هنا» .

وأمسكها وشرع يشرح لها:

ـ يا حبيبتي الصغيرة . . السبب الوحيد الذي جعلني أطلب منك المجيء يوم الأحد الماضي، كان رغبتي الكبيرة في رؤيتك وصدِّقي أنني لم أخطط لإغوائك . . كنت أعي قلة خبرتك . . وكنت أقدرك حق قدرك بحيث لا يمكن أن أغويك ثم أسافر في الصباح التالي.

واقتنعت أيمي حتى قبل أن يضيف:

ـ لقد حاولت تجنب اتصال تلك الكيمياء الموجودة بيننا . . لكن، وكما تذكرين، بسبب قربك مني، لم أتمكن من الصمود كثيراً.

ـ كان هذا متبادلاً .

ـ وهل صدقتني؟

ـ بالتأكيد.

ارتدّ إلى الوراء لينظر إلى وجهها وقال يوبخها بلطف: «عدني ألا تقودي بالطريقة التي قدت فيها تلك الليلة».

ـ وهل لحقت بي؟

ـ كنت مضطراً لمعالجة مسألة كارلا أولاً، لكن ذلك لم يستغرق طويلاً . . ثم لحقت بك. لكنني تراجعت عندما أدركت أنك تعرفين أنني ألحق بك . . وخشيت أن تقودي بجنون أكبر في سبيل التخلص مني . .

ـ هل كنت أنت المتصل ساعة وصلت؟

ـ أرعبتني رعباً كبيراً . . وكان يجب أن أعرف أنك وصلت سالمة . . لكن مشاعري كانت ثائرة فلم أستطع أن أكلمك.

ـ لم تحدثني حتى وقت قصير من صعودك إلى طائرتك في اليوم التالي . . وكنت بارداً جداً . . وشعرت أنك نمت ملء جفونك وهذا ما لم يحدث لي.

اعترف: «كان هذا ادعاءاً . . كنت أريد أن أتحدث إليك بلطف . وماذا

فعلتِ؟ أثرت غضبي بالقول لي إنك لن تذهبي إلى العمل . . وإنك ستتركينه؟».

ضحكت: «لم يكن هذا دون سبب . . لقد صرفتني من العمل وتشاجرنا».

ابتسم هو أيضاً:

ـ وركبت الطائرة وفكري في هيجان. هذه المرأة استحوذت على قلبي وعقلي، بحيث لم أعد أعرف أين أنا. ثم، ما إن أقلعت الطائرة حتى أدركت أنني لا أريد أن أكون هناك، وأذكر أنني فكرت: أيها الأحمق . . أنت تحب المرأة!

تنهدت مسرورة: «أوه . . ما أروع هذا!».

ـ قضيت أيامي تلك وأنا أتعذب بسببك . . أردت أن أتصل بك في كل خمس دقائق . . وحين استسلمت واتصلت، حدثتني بتكبر وعناد كبيرين وتجرأت على القول إنك وجدت عملاً في مكتب آخر.

ـ عملت لوكالة تعليمات.

قال بلهفة: «أيمي . . أيمي . . لم تبرحي قلبي وعقلي لحظة واحدة . . ولن أستطيع السفر بدونك . . أحبك، يا عزيزة قلبي، وأريدك معي . . أرجوك حبي . . قولي إنك سترافقينني».

شهقت: «إلى نيويورك؟ لكن . . لكنك مسافر غداً».

ـ إذا لم تستطيعي أن تجهزي في الوقت المناسب، يمكن أن تلحقي بي بطائرة الكونكورد التي تسافر يوم الاثنين. وبهذا أستطيع اللحاق بموعدي في الساعة الحادية عشرة.

ابتلعت ريقها: «أردت أن تأخذني معك حين غادرت المكتب يوم الجمعة . . لم أستطع تحمل فكرة عدم رؤيتك مدة طويلة . .».

وصمتت، لكنها اضطرت أن تخفي الانتصار بسرعة، وقالت مجبرة: «لكنني لا أستطيع».

أراد أن يعرف: «لماذا؟ ألا تحبينني بما فيه الكفاية؟ أيمي . . أنا . .».

www.elromancia.com

قاطعته: «أوه باردن أحبك كثيراً. . لكن يجب أن أعمل. . لا أستطيع أخذ فرصة طويلة. . لست وحدي. . وأحتاج إلى الأمان. . .».

ـ ألم تصغي إلى كلمة مما كنت أقول؟ أنا أحبك أيمي وأريدكِ زوجة لي. . أنت والعمة هانا ستجدان الأمان الذي تحتاجان إليه.

زوجة له! شهقت: «زوجة؟».

قال بحزم:

ـ هذا شرط مع الاتفاقية. لقد فكرت، ونمت وأنا أحلم بك طوال هذا الأسبوع، أيملي لاوسون. . وأقسم بعدما عرفت أنك تحبينني، أنني لن أتحمل أسبوعاً آخر من العذاب. . لا حاجة بك إلى توضيب شيء. . بإمكانك شراء كل ما تحتاجين إليه. . كل شيء. . وأعرف أن والديّ سيحسنان الاعتناء بالسيدة وايتفورد في أثناء سفرنا. . سنترك رقم هاتفهما في «كسويك هاوس» ليتصلا في حال قررت كسر القوانين. . مع أنني أظن أن أبي سيكون سعيداً بوجود من يريه مجموعته من السيارات الكلاسيكية. . وإن لم يعجبك هذا الاقتراح، أقترح أن نأخذها معنا. . لكن أرجوك. . أرجوك حبيبتي. . قولي إنك سترافقيني. . قولي إنك ستتزوجينني.

نظرت أيمي إليه وقلبها في عينيها. . ماذا يمكن لأي فتاة أن تقول بعد كل هذا الكلام؟ ابتلعت ريقها وقالت بحب خالص: «إذا لم يكن في هذا شيء من الطمع. . فهل أستطيع القول نعم. . للأمرين؟».

***